الفصـل الرابـع

موازنة بين دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى الإسلامي ورجال الدين المسيحي في بلاد الشام والغرب الأوروبي أثناء الحروب الصليبية

- أثر خطبة البابا أوروبان الثاني في مؤتمر كليرمونت عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م على المسيحيين المشتركين في الحملة الصليبية الأولى، ورد الفعل الإسلامي لذلك.
- دور رجال الدين المسيحي في ترويج الأساطير الدينية لرفع الروح المعنوية للمقاتلين، وأثر ذلك على الفقهاء والعلماء.
- دور افريمار بطريرك بيت المقدس في حث مسيحي بيت المقدس لمساعدة بلدوين الأول في حربه ضد المسلمين عام 499هـ/ 1105م، ورد الفعل الإسلامي لذلك.
- موقف رجال الدين المسيحي من خروج الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق، وأثر ذلك على الفقهاء والعلماء المسلمين.
- دور رجال الدين المسيحي في الحملة الصليبية الثالثة على عكا، وموقف الفقهاء والعلماء من هذه الحملة.
- موقف المندوب البابوي من تطور أحداث الحملة الصليبية الخامسة على دمياط عام 615هـ/ 1218م، ورد الفعل الإسلامي لذلك.
- موقف البابوية من فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة عام 625هـ/ 1277م، وموقف المسلمين منها.
- دور بعض رجال الدين في الحملة الصليبية السابعة على مصر عام 646هـ/ 1248م، وأثر ذلك على الفقهاء والعلماء المسلمين.

obeikandl.com

obeikandl.com

بعد أن عرضنا في الفصول السابقة لدور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام عام 491هـ/ 1097م حتى طردهم منها نهائياً أيام السلطان المملوكي الأشرف خليل عام 690هـ/ 1291م، ننتقل إلى إبراز جانب هام ومكمل لموضوع البحث يتعلق بعقد موازنة سريعة بين تلك الصفوة المختارة من رجال العلم والفقه وبين رجال الدين في الغرب الأوروبي ممن كانوا يدعون للحملات الصليبية، وإلقاء الخطب الدينية الحماسية على مقاتليهم في ميادين القتال فتلهب حماسهم وترفع من روحهم المعنوية بشكل كبير وتساعدهم على تغيير خط سير المعركة لصالحهم خاصة وأن طبيعة العصر في الغرب الأوروبي حينئذ قد ساعدت رجال الدين إلى حد كبير في ذلك فكان الدين يمثل كل شيء في حياة الناس فضلاً عن سيطرة البابوية والكنيسة على عقولهم.

كان للخطبة التي ألقاها البابا أوربان الثاني في المجمع الديني الذي انعقد في كليرمونت عام 488هـ/ 1095م أثرها البالغ في نفوس المسيحيين المجتمعين في هذا المجتمع فقد الهبت حماسهم وأصابتهم بحالة عبر عنها المؤرخ جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) «بأنها نوبة حادة من الجنون»[1]، إذ قال البابا:

«يا شعب الفرنجة، يا شعب الله المحبوب المختار، لقد جاءت من

(1) جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص 323.

تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين في الشرق، وقلب موائد القرابين المقدسة، ونهب الكنائس وخربها وأحرقها، وساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن عذبوهم أشنع تعذيب، ودنسوا الأماكن المقدسة برجسهم، وقطعوا أوصال الامبراطورية البيزنطية، وانتزعوا منها أقاليم بلغ من سعتها أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها في شهرين كاملين على من أذن تقع تبعة الانتقام لهذه المظالم، واستعادة تلك الأصقاع إذا لم تقع عليكم أنتم. أنتم يا من حباكم الله أكثر من أي قوم آخرين بالمجد في القتال، وبالبسالة العظيمة وبالقدرة على أذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم؟ ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوي قلوبكم ـ أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيره من ملوككم وعظمتهم، فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا ـ الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست ـ لا تدعوا شيئاً يقعد بكم من أملاككم أو من شؤون أسركم. ذلك بأن هذه الأرض التي تسكنونها الآن، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وتلل الجبال، ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضاً، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، وأقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتملكوها أنتم، إن أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها. هي فردوس المباهج. إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها. فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السموات»[2].

(2) انظر نص هذا الخطاب في: =

وهكذا كان لهذه الكلمات الحماسية التي ألقاها البابا أوربان الثاني أثرها البالغ في نفوس المسيحيين المجتمعين فبعد أن أنهى البابا خطبته مباشرة صاح المجتمعون صيحة رجل واحد قائلين «هكذا أراد الله ـ Deus le volt»[3].

ولم يكد البابا أوربان الثاني ينتهي من خطابه هذا، حتى نهض إليه الأسقف أدهيمر دي مونتيل ـ Adhemer de Monteil[4] ـ وركع أمام قدمي البابا، والتمس منه الإذن بأن يلحقه بالحملة المقدسة، وأمام هذا الموقف المؤثر تحركت مشاعر المجتمع وتدافعوا بالمئات يركعون أمام البابا مثل أدهيمر، في حماس منقطع النظير وحملوا الصلبان وحلفوا جميعاً على تخليص المدينة المقدسة. ويعقب المؤرخ المعاصر للأحداث وهو ـ روبرت الراهب ـ فيقول «يا له من عدد كبير من الناس، من كل الأعمار ومن مختلف المستويات، الذين تقلدوا الصلبان خلال مجمع كليرمونت، وقد حلفوا على تخليص المدينة المقدسة وقد وصل عددهم إلى 300 ألف»[5].

= Robert Le Moine: Op. Cit., pp. 3-4, Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 65-67.
انظر أيضاً: ول ديورانت: قصة الحضارة، ج 15، ص 15 ـ 16، محمد ماهر حمادة: وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، بيروت 1986م، ص 99 ـ 100، رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 160 ـ 162.

(3) Robert Le Moine: Op. Cit., pp. 4-5, Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 68, Bernard Le Tresorier: Op. Cit., t. 11, p. 557, Baudri: Op. Cit., pp. 20-21, Jean Richard: Op. Cit., pp. 7-8.

راجع أيضاً: أرنست باركر، المرجع السابق، ص 23.

(4) ينتمي أدهيمر دي مونتيل إلى أسرة كونتات فالنتينوا ـ Valentionis ـ حج إلى بيت المقدس حوالي سنة 479هـ/ 1086م. جعله البابا أوربان الثاني مندوباً بابوياً للحملة الصليبية الأولى وذلك لأنه أول من استجاب لدعوة البابا في مؤتمر كليرمونت. حتى يضفي عليها الصبغة الدينية، ولقد أثبتت الظروف التي أتت بعد ذلك أنه مبشراً بارعاً بما له من خبرة وتجارب كما أثبت أيضاً أنه دبلوماسي ماهر. توفي سنة 492هـ/ أول أغسطس 1098م. انظر مؤلف مجهول: أعمال الفرنجة، ص 100، رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 164، وص 358 ـ 360 وص 406.

(5) Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 67-68, Robert Le Moine: Op. Cit., p.

وإزاء هذا الموقف المتحمس لادهيمر ـ عينه البابا أوربان الثاني ممثلاً شخصياً ونائباً عنه ليوضح للجميع أن الحملة تحت إشراف الكنيسة، بل وتحت إشرافه هو مباشرة[6].

وجدير بالذكر أن تأثير خطبة البابا أوربان الثاني لم يكن فقط على الأسقف أدهيمر فحسب بل كانت على بطرس الناسك[7]، ذلك الراهب الذي أخذ يطوف بالبلاد الفرنسية والألمانية بعد انتهاء مؤتمر كليرمونت، يدعو الناس للاشتراك في الحرب الصليبية. وكان له تأثير شديد على كل من يستمع إليه، لا سيما طبقات العامة والفقراء، فلقد كان يخطب الناس وهو يركب حماراً ـ ينتقل به من بلد إلى آخر. وكان يسير حافي القدمين ويرتدي ملابس رثة، ويتحدث المؤرخ روبرت الراهب عنه فيقول: «إن بطرس هذا هو رائد الحرب الصليبية، وأنه كان يفوق في ورعه القسيسين والأساقفة، وكان ممتنعاً عن تناول الخبز واللحم، بل جعل غذاءه السمك، وكان لا

انظر أيضاً: أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 17 ـ 18، رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 162.

(6) Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 68, Jean Richard: Op. Cit., p. 7.

انظر أيضاً: أرنست باركر: المرجع السابق، ص 23، حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، ص 51.

(7) كان بطرس الناسك ـ Peter the Hermit ـ راهباً طاعناً في السن، وكان قصير القامة، داكن اللون، ذو وجه طويل نحيل. وكان قد حاول الحج إلى بيت المقدس منذ سنوات قبل عام 489هـ/ 1095م ولكنه اضطر إلى العودة دون أن يحج هرباً من الترك ـ أي المسلمين ـ ويذكر برنارد الخازن أن بطرس رأى المسيح في منامه يحثه على إبلاغ البابا بضرورة تخليص الأرض المقدسة من المسلمين فقام على أثرها مذعوراً وفرحاً في نفس الوقت وقصد على الفور لمقابلة البابا أوربان الثاني، وأخبره بما يلاقيه المسيحيون من مضايقات في الأرض المقدسة، وأنه مرسل لدعوة أوروبا إلى أنجاد الأراضي المقدسة، وبعد هذه المقابلة أذن له البابا أوربان بدعوة المسيحيين في كل الأنحاء لإنقاذ الأماكن المقدسة.

انظر: Bernard le Tresorier: Op. Cit., pp. 556-557.

انظر أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 169 وص 172.

يسمح لنفسه إلا بقليل من النبيذ وبعض الطعام الغليظ»[8].

وعلى الرغم من مظهر بطرس الناسك وحالته الرثة إلا أنه كانت له قوة غريبة تثير حماس الرجال والنساء وتجذب الجماهير إليه، فاستطاع أن يجذب وراءه حوالي 15 ألف شخص[9] من الفقراء الذين كانوا يتبعونه من بلد إلى آخر بحماس شديد، على الرغم من أن غالبيتهم كانوا لا يدرون شيئاً عن استعمال السلاح أو الفروسية، بل ولم يشتركوا في أي حرب من قبل إلا أن تأثرهم بكلمات بطرس الناسك الحماسية ومظهره جعلهم يندفعون في حماس جارف وراءه دون التفكير في أي احتمالات أخرى، فلقد كانت خطبة نارية «ممزوجة بالبكاء والعويل وصب اللعنات على الكافرين، وبوعد الرب للذين يزحفون لإنقاذ قبر المسيح بالمغفرة، وتؤثر فصاحته التمثيلية الخيالية في قلوب الجموع، ويعده الناس نبياً في كل مكان»[10].

ولا شك أن خطبة البابا أوربان الثاني هي السبب المباشر الذي جعل تلك الألوف من المسيحيين تندفع بكل حماس للانضمام إلى الحملة الصليبية الأولى. وذلك عندما اكتشفوا أن هناك غفراناً للذنوب[11]، فقاموا يطرزون صلباناً من الحرير الأحمر والأقمشة المذهبة على الكتف اليمنى للعباءات التي يرتدونها[12].

---

(8) انظر أيضاً: أرنست باركر: المرجع السابق، ص 52.
Robert le Moine: Op. Cit., p. 4.

رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 961، حسن حبشي: المرجع السابق، ص 53.

(9) انظر أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 177،
Albert d'Aix: Op. Cit., p. 44.

حسن حبشي: المرجع السابق، ص 54.

(10) جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص 322.

(11) Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 67-68, Bernard le Tresorier: Op. Cit., p. 557, Raoul de Caen: Op. Cit., p. 507.

(12) أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 18.
Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 68-69.

ويضيف المؤرخ بودري بوصفه معاصراً لأحداث هذه الفترة الزمنية أن بعض العامة من المسيحيين كانوا يرسمون على صدورهم علامة الصليب بواسطة الحديد المحمي على النار، ليتباهوا بإظهار حماسهم، وليوهموا الآخرين بأن هذه العلامات إنما جاءتهم عن طريق معجزة[13].

وهكذا انطلق الجميع يتجهزون للذهاب للأراضي المقدسة بالشام بعد تلك الكلمات التي سمعوها، وكان معظمهم يبيعون ما يملكون ليجهزوا أنفسهم للرحيل طمعاً في محو ذنوبهم ورضاء الله عنهم. وكان الآباء سعداء برؤية أولادهم وهم يرحلون، كما كانت الزوجات في غاية الفرح لدى رؤيتهن لأزواجهن وهم يتأهبون للرحيل، فحماس الجميع كان منقطع النظير، واقتناعهم بهذا العمل كان شديداً[14].

وعلى قدر الفرحة الكبيرة التي شعر بها أولئك الذين غادروا بلادهم للالتحاق بالحملة الصليبية الأولى كان الأسى والحزن يخيم على أولئك الذين لم يخرجوا في تلك الحملة[15].

وجدير بالذكر أننا لم نعثر في المصادر الإسلامية على أية خطبة حماسية لأي من الخليفتين العباسي أو الفاطمي كرد فعل على خطبة البابا أوربان الثاني أو على الأقل نشعر من أن المسلمين علموا بما جرى في مؤتمر كليرمونت. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى انشغال كل من الخلافتين العباسية والفاطمية بالتنازع فيما بينهما ومحاولة كل منهما التغلب على الأخرى لتكون لها السيادة، فظلوا في سبات عميق حتى وصلت الحملة

انظر أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 1، ص 163، انظر أيضاً: سعيد عاشور: المرجع السابق، ج 1، ص 134، عمر كمال توفيق: المرجع السابق، ص 33.

(13) Baudri: Op. Cit., p. 21.

(14) Ibid; Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 68, 73-74.

(15) Fuclcher of Chartres: Op. Cit., pp. 74-75.

الصليبية الأولى بالفعل إلى بلاد الشام[16]. ولعل ما يؤكد هذا ما جاء في كتابات ابن القلانسي من أن أخبار الصليبيين لم تصل للمسلمين في بلاد الشام إلا في سنة 490هـ/ 1097م، فيقول في ذلك وتواصلت الأخبار بهذه النوبة المستبشعة في حق الإسلام فعظم القلق وزاد الخوف والفرق[17].

ومع ذلك فإن رد الفعل الإسلامي الوحيد الذي ظهر قبيل وصول الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام، كان من جهة السلاجقة في آسيا الصغرى عندما استطاعوا القضاء بكل سهولة على القسم الأول من القوات الصليبية المعروفة باسم «حملة العامة» فضلاً عما قاموا به من عمليات دفاعية عن ممتلكاتهم في آسيا الصغرى[18].

وبعد أن انتصر الصليبيون على السلاجقة في آسيا الصغرى واستولوا على عاصمتهم نيقية واصلوا تقدمهم ونجحوا في تأسيس أول أمارة لهم بالشرق في الرها، دون أن تقابلهم أية صعوبات تذكر[19]. ثم واصلوا تقدمهم بعد ذلك إلى أنطاكية، وعندما اقتربوا منها اندفع المندوب البابوي أدهيمر بحماس شديد محاولاً حث الصليبيين على ضرورة التمسك بوحدتهم والوقوف صفاً واحداً كي يتحقق لهم النصر والاستيلاء على أنطاكية، فألقى فيهم الكلمات التالية:

«إخوتي وأبنائي الأعزاء، نحن نقترب من أنطاكية، وهي مدينة محصنة

---

(16) انظر ما سبق تفصيله عن حالة الشرق الأدنى قبيل وصول الحملات الصليبية في الفصل الأول من هذا البحث، ص 78 ـ 83.

(17) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 134.

(18) انظر أيضاً: أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 33 ـ 37.
Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 73.

(19) حول تفاصيل تأسيس بلدوين البولوني لإمارة الرها الصليبية انظر: سعيد عاشور: المرجع السابق، ج 1، ص 180 ـ 182، حسن حبشي: المرجع السابق، ص 102 ـ 109، رانسيمان: المرجع السابق، ص 297، ص 287 ـ 301.
Grousset: Op. Cit., t. 1, 43-68.

بأسوار عالية يعجز الحديد والحجر عن تدميرها. . فلنحترس، ولنحرص على الوحدة، ولنوجه جهودنا نحو الهدف المشترك»[20].

وكان لهذه الكلمات أثر كبير في حماس الجند عندما فرضوا حصارهم حول المدينة في أواخر ذي القعدة عام 490هـ/ أواخر أكتوبر 1097م ولكن ما أن طال الحصار بسبب مناعة المدينة انتاب الصليبيون اليأس وتدهورت حالتهم المعنوية. وفكر الكثير منهم في العودة إلى بلادهم أو على الأقل الابتعاد عن هذه المنطقة واللجوء إلى مكان آخر يكون أكثر أمنا ويجدون فيه ما يقتاتون به[21]. وانتابت أكثرهم حالة من اليأس. وعندئذ حاول بعض رجال الدين المسيحي انتزاع اليأس والخوف من قلوب الصليبيين المحاصرين لأنطاكية ورفع روحهم المعنوية لمواصلة القتال والمصابرة فيه، وذلك عندما صدقوا الرؤيا التي اختلقها أحد صغار الصليبيين ويدعى بطرس بارثليميو الذي أخبرهم بأنه رأى في رؤياه أحد القديسين يخبره بأن الحربة التي طعن بها المسيح في جنبه، مدفونة في كنيسة القديس بطرس بأنطاكية، وأنهم إذا أخرجوا هذه الحربة وحملوها أمام جيش الصليبيين فسيحصل لهم النصر[22]. فكان لتصديق هذه الرؤيا وظهور الحربة المقدسة تأثيره البالغ في ازدياد حماس الصليبيين واندفاعهم لقتال المسلمين يتقدمهم حامل الحربة المقدسة، فأحدقوا بالمسلمين، وقام الأسقف أدهيمر يخطب في الصليبيين ويحثهم على القتال بكل شجاعة محاولاً نزع الخوف من قلوبهم، قائلاً لهم: «أنتم الآن

---

(20) للوقوف على تفاصيل نص هذه الخطبة راجع:
Albert d'Aix: Op. Cit., p. 51.

(21) أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 73 ـ 80، انظر أيضاً:
Robert le Moine: Op. Cit., p. 22.

(22) ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 15، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 5، ص 147 ـ 148.
وعن قصة الحربة المقدسة كاملة انظر: أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 82 ـ 90 وكذلك:
Robert le Moine: Op. Cit., pp. 12-13, Bernard le Tresorier: Op. Cit., p. 566, Raoul de Caen: Op. Cit., pp. 18-19, Albert d'Aix: Op. Cit., pp. 57-58.

متطهرون وتائبون لله، فمن أي شيء تخافون؟ إن من يموت منكم سيكون أسعد ممن عاش، لأنه سيغادر هذه الحياة الفانية إلى ملكوت الخلود، أما من سيعيش فسوف ينتصر على أعدائه، وسيغتني من غنائمهم، فلتتشجعوا فإن القادر المقتدر سيرسل لكم كتائب من السماء لتنتقم من أعدائكم، وسوف ترون هذه الكتائب بأعينكم، فلا تخشوا الأصوات الرهيبة التي سوف تحدثها حولكم، إنها جاءت لنجدتنا بعدما أحدق بنا الخطر.

انظروا إلى أعدائكم وهم يتطلعون إليكم في رعب مستعدون للهرب أكثر من استعدادهم للقتال. فلتهجموا عليهم باسم يسوع المسيح، وليكن القادر على كل شيء معنا»[23].

ويضيف صاحب كتاب أعمال الفرنجة أن الأساقفة والقسس والكهنة والرهبان قد ارتدوا حللهم المقدسة وخرجوا حاملين الصلبان ممجدين الرب ومبتهلين إليه أن ينقذهم من كل شر. بينما اعتلى آخرون الباب رافعين الصليب في أيديهم، ورسموا عليهم علامة الصليب وباركوهم، ولما تجهزوا وتدرعوا بالصليب خرجوا للقتال[24]. ونتيجة لهذا الدور الحماسي الذي قام به رجال الدين المسيحي في تشجيع الصليبيين بأنطاكية ازداد الصليبيون ثقة في أنفسهم شجعتهم على ذلك على بذل الجهود حتى حققوا النصر على المسلمين في أنطاكية واستولوا على المدينة مؤسسين إمارتهم الصليبية الثانية.

أما بالنسبة لجبهة الجهاد الإسلامي في أنطاكية فقد اتضح من كتابات المؤرخين المسلمين أن هناك جماعة من المسلمين يعرفون باسم المطوعة[25]. ظلت ثابتة تدافع عن أنطاكية رغم قلة عددهم حتى بعد اشتداد هجمات الصليبيين عليها - بعد عثورهم على الحربة المقدسة - وبعد أن تفرق

---

(23) انظر نص هذه الخطبة في:
Robert le Moine: Op. Cit., pp. 4-5.

(24) أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 92.

(25) انظر ما سبق ص 134 من هذا البحث.

شمل العسكر التركماني عن حاكم المدينة كربوغا مما أدى في النهاية إلى استشهادهم جميعاً[26].

وعلى الرغم من عدم ذكر المؤرخين المسلمين صراحة للدور الذي قام به الفقهاء والعلماء لصد الهجوم الصليبي على أنطاكية، إلا أننا نشعر من خلال كلماتهم بالدور الذي قاموا به في حث المسلمين والعامة من أهل أنطاكية بضرورة الصمود في الدفاع عن مدينتهم حتى آخر رمق. ولعل ما يرجح ذلك ما أورده كل من ابن القلانسي وابن العديم عن قتل الصليبيين للمطوعة وللمجاهدين جميعاً[27]. مما يدل على أن العلماء والفقهاء هم الذين دفعوا بهؤلاء المسلمين، من عامة الناس، للوقوف هذا الموقف البطولي في الجهاد في سبيل الله، وذلك عن طريق الوعظ والإرشاد والنصح، فهم المسؤولون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقع على عاتقهم مسؤولية الدعوة إلى الجهاد. ولا نستبعد أيضاً أن يكون بين صفوف هؤلاء المطوعة، الكثير من العلماء والفقهاء، ممن حملوا السلاح جنباً إلى جنب مع غيرهم من المدافعين عن أنطاكية ليذودوا عن دينهم وأوطانهم ضد أعداء الإسلام والمسلمين، وليرفعوا الروح المعنوية للمسلمين ويشجعونهم على الاستمرار في المقاومة والمصابرة أمام الصليبيين.

ويظهر دور رجال الدين المسيحي أيضاً بصورة جلية أثناء حصار الصليبيين لبيت المقدس في سنة 492هـ/ 1098م، فبعد أن اشتدت مقاومة المسلمين لهم، مع اشتداد درجة حرارة الجو عليهم، وانعدام مياه الشرب، شعر رجال الدين المسيحي بالإحباط والوهن الذي أصاب الصليبيين[28]،

---

(26) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 136، ابن العديم: المصدر السابق، ج 2، ص 137، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 5، ص 148.

(27) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 136، ابن العديم: المصدر السابق، ج 2، ص 137.

(28) عن حالة الصليبيين أثناء حصارهم لبيت المقدس، انظر:
Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 121-122, Albert d'Aix: Op. Cit., pp. 58-59, Raoul de Caen: Op. Cit., pp. 521-522, Robert le Moine: Op. Cit., p. 17.

وقام أحد القساوسة وأشاع بأنه رأى الأسقف أدهيمر في منامه يأمره أن ينبه الصليبيين بالكف عن أنانيتهم، وأن يصدقوا النية في أداء المهمة التي خرجوا من أجلها، وأن يتجهوا بقلوب صافية إلى الله، وأكد لهم أن النصر سيتم لهم خلال أيام قلائل، على أن يخرجوا حفاة في موكب يسيرون به حول أسوار بيت المقدس[29]. وعلى الفور عقد قادة الحملة الصليبية الأولى اجتماعاً يدرسون فيه كيفية تنفيذ ما طلبه أدهيمر في هذه الرؤيا. ويصف المؤرخ اللاتيني توديبود ـ أحد المشاركين في هذه الأحداث فيقول: «عقد قادتنا اجتماعاً.. أوصاهم فيه المطران والقساوسة ـ بالقيام بمسيرة حول المدينة... وهكذا سار المطران والقساوسة ـ حفاة الأقدام ـ يرتدون ملابس الكهنوت المقدسة... يحملون في أيديهم الصلبان... ينشدون المزامير ويدعو السيد عيسى المسيح لتخليص المدينة المقدسة، والقبر المقدس من أيادي الكفرة، وأن يضعها بين أيادي المسيحيين حتى يتمكنوا من أداء طقوسه المقدسة... وكان جميع رجال الدين يرتدون نفس الملابس ويحيط بهم جميعاً على الجانبين الفرسان وتابعيهم بكل عدتهم وعتادهم..»[30]، وعندما رأى المسلمون موكب الصليبيين الحفاة وهم يطوفون حول أسوار بيت المقدس، وقفوا على طول أسوار المدينة يحملون المصاحف المغطاة بالقماش على أسنة الرماح. وينفرد ـ توديبود كشاهد العيان ـ بهذا الوصف الدقيق لرد فعل المسلمين على مسيرة الصليبيين حول بيت المقدس فأوضح أن المسلمين عندما رأوا ذلك المشهد، ساروا على نفس الطريقة على طول أسوار المدينة يحملون رمحاً مغطاة بقماش مرسوم عليه اسم الرسول ﷺ..

---

(29) حسن حبشي: المرجع السابق، ص 175 ـ 177.

(30) Tudebode: Historis de Hierosolymitano itinere, cf. Riley Smith, The Crusades (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 137-138.

انظر أيضاً أعمال الفرنجة: المصدر السابق، ص 117 حيث يذكر أن الأساقفة والقساوسة قد نبهوا الجميع إلى ضرورة أن يصحب هذه المسيرة القيام بالصلوات وإخراج الصدقات والصيام.

ولما وصل المسيحيون عند كنيسة القديس ستيفن، بينما وقف المسلمون يصيحون ويهتفون فوق الأسوار... ويدقون طبولهم في ضجيج وصخب وجعلوا المسيحيين عرضة لكل ما يستطيعون ويقدرون عليه من سخرية واستهزاء[31].

ويستكمل توديبود وصفه قائلاً: «وكان أسوأ ما في الأمر أن المسلمين أقدموا على تحطيم الصليب المقدس بقطعة من الخشب أمام أعين المسيحيين جميعاً.. ذلك الصليب الذي أراق المسيح دمه عليه وافتدى بذلك خلاص البشرية جميعاً.. وإمعاناً في أيام المسيحيين فقد قذفوا بحطامه من فوق الأسوار وهم يصيحون استهزاء بالصليب..»[32].

وعندئذ ازداد حماس الصليبيين فقاموا بهجوم شامل على بيت المقدس - في اليوم التالي للمسيرة - وسقطت المدينة في أيديهم على الرغم من المقاومة العنيفة التي قام بها المسلمون لصد الصليبيين عن مدينتهم[33]. ولما دخل الصليبيون المدينة قاموا بعمل مذبحة رهيبة لكل من وجدوه بالمدينة[34]. وهكذا استطاع الصليبيون المشتركون في الحملة الصليبية الأولى أن يستولوا على مدينة بيت المقدس ويؤسسوا بها الإمارة الصليبية الثالثة. والتي أطلق عليها مملكة بيت المقدس الصليبية.

وهكذا يتضح لنا كيف كان رجال الدين المسيحي يستغلون قوة تأثير

---

(31) (32) Tudebode: Op. Cit., pp. 137-138.

(33) عن مقاومة المسلمين للغزو الصليبي في بيت المقدس انظر ما سبق، ص 124 - 126 من هذا البحث.

(34) عن تفاصيل المذابح التي قام بها الصليبيون في بيت المقدس. انظر: ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 19، أبو الفدا: المصدر السابق، ج 2، ص 221 - 222، ابن كثير: المصدر السابق، ج 12، ص 166، العليمي: المصدر السابق، ج 1، ص 272، انظر أيضاً المصادر الأجنبية التالية:

Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 121-122, Raoul de Caen: Op. Cit., p. 522, Robert le Moine: Op. Cit., t. p. 17, Albert d'Aix: Op. Cit., pp. 58-59.

انظر أيضاً: جوستاف لوبون: المرجع السابق، ص 327.

العامل الديني على عقول المسيحيين فيقوموا بترويج الإشاعات والأساطير ذات الطابع الديني لإثارة مشاعر المقاتلين المسيحيين والهاب حماسهم فتزداد روحهم المعنوية ارتفاعاً ويتفانون في القتال حتى ينتصروا ويحققوا أغراضهم وأطماعهم الاستعمارية في الأراضي المقدسة، هذا في الوقت الذي لم نعثر فيه في بطون المصادر الإسلامية على ما يفيد عن دور جدي للفقهاء والعلماء في تلك الفترة الزمنية يعتمد على إلقاء الخطب الحماسية تذكر المقاتلين بأمجاد المسلمين الأول وانتصاراتهم أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين - رضوان الله عليهم - من بعده فتزداد حماستهم وترتفع روحهم المعنوية مما يساعد على مواصلة القتال والانتصارات على أعداء الدين وتحرير بلادهم من براثن الاستعمار الصليبي، ولعل ذلك مرجعه إلى هول المفاجأة التي أصابت العالم الإسلامي وقتئذ بالعدوان الصليبي على المنطقة فضلاً عن انصراف العلماء والفقهاء لفض بعض المنازعات القائمة بين أقطاب العالم الإسلامي حينئذ وهم العباسيين والفاطميين والسلاجقة والعمل على توحيد جهودهم لمواجهة العدو الصليبي. ومن ناحية أخرى ربما يكون أولئك الفقهاء لم يدركوا أهمية المناطق التي استولى عليها الصليبيون مثل الرها وأنطاكية، ولكن عندما فقدوا بيت المقدس أفاقوا من هول الصدمة وبدأوا يتحركون ويباشرون جهودهم فقام كثير من الفقهاء والعلماء والقضاة في بلاد الشام بدور كبير في توعية الناس في كل مكان بهذا الخطر الفظيع، وبضرورة الوقوف صفاً واحداً لصد هذا العدوان الغاشم. فخرجت جماعات كثيرة من مسلمي بلاد الشام وبصحبتهم الكثير من العلماء والفقهاء، واتجهوا إلى بغداد واستغاثوا بالخليفة العباسي وبالسلطان السلجوقي، واجتمعوا بالناس في المساجد وأعلموا الجميع بما لاقاه المسلمون من مذابح بشعة على أيدي الصليبيين. وألقوا الشعر في ديوان الخليفة ببغداد يحثون فيه أولي الأمر على سرعة إنجاد أهل الشام حماية للدين وللمحارم. فاضطر الخليفة إلى الاستجابة وقام بندب الفقهاء للخروج إلى البلاد لتحريض الملوك على الجهاد، وعلى الرغم من قيام الفقهاء بهذه المهمة على الوجه الأكمل، إلا

أن ذلك لم يأت بطائل ولم يحرك ساكناً، فعاد الفقهاء إلى بغداد[35].

وجدير بالذكر أن المؤرخ ابن الأثير قام بالتعقيب على حالة التفكك التي أصابت العالم الإسلامي في تلك الفترة، والتي أدت إلى ضياع صرخات واستغاثات المسلمين بلا استجابة من قبل أولي الأمر فأرجعها إلى اشتغال الحكام والملوك المسلمين وعساكر الإسلام بقتال بعضهم بعضاً، مما ساعد على تفرق المسلمين واختلاف الأهواء وتمزق الأموال[36].

وقد كان سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين بمثابة الضربة القاصمة التي وجهت إلى العالم الإسلامي بصفة عامة وإلى الخلافة الفاطمية بصفة خاصة، فأخذ الوزير الفاطمي الأفضل بن بدر الجمالي يفكر جدياً في استعادة هذا الجزء العزيز لدى الأمة الإسلامية فأخرج من مصر ثلاث حملات حربية في الفترة الممتدة من 495 ـ 499هـ/ 1101 ـ 1105م موجهة ضد القوات الصليبية الموجودة في فلسطين ليثبت للصليبيين مدى يقظة المسلمين وغيرتهم على كل شبر من الأراضي المقدسة. ولكن باءت هذه المحاولات الثلاث بالفشل ولم تحقق الهدف المنشود لها وهو استعادة بيت المقدس[37].

وفي أثناء محاولة الصليبيين صد هذه الحملات الثلاث تحت قيادة بلدوين الأول ملك بيت المقدس، قام بعض رجال الدين المسيحي بأدوار

---

(35) العظيمي: المصدر السابق، ص 373، ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 137، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 20، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 5، ص 152، انظر أيضاً ما سبق، ص 126 ـ 130 من هذ البحث.

(36) ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 72 ـ 73.

(37) عن حملات الرملة الثلاث انظر: العظيمي: المصدر السابق ص 373 ـ 377، ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 138 ـ 144، ابن الأثير: المصدر السابق: ج 9، ص 67 ـ 75، المقريزي: إتعاظ الحنفا، ج 3، ص 24 ـ 134، أسامة زيد: حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل، مجلة كلية الآداب، العدد 29 الإسكندرية 1981م، ص 37 ـ 69، انظر أيضاً المصادر الأجنبية التالية:

Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 156-186, William of Tyre: Op. Cit., t. I. pp. 400-443.

بارزة لحث الصليبيين على الشجاعة والوقوف بصلابة في مواجهة الجيوش الفاطمية، مستخدمين في ذلك كل الوسائل كالمشاركة في حمل السلاح والقتال، والوعظ والخطب في جموع الصليبيين، وحمل الصلبان أمام الجيوش لتحميس الصليبيين على القتال بشجاعة. فمن تلك المواقف التي سجلت لرجال الدين المسيحي، موقف رئيس الشمامسة ـ أرنول مالكورن ـ الذي خطب خطبة حماسية لإثارة مشاعر المقاتلين لصد حملة المصريين على الرملة سنة 495هـ/ 1101م، وكذلك ما قام به المندوب البابوي موريس من تلاوة نصوص الغفران لإدخال الطمأنينة في نفوس المقاتلين، بعد أن انتابهم الرعب عندما رأوا ضخامة القوات الفاطمية، ثم قام الملك بلدوين بعد ذلك بحمل الصليب المقدس أمام المقاتلين الصليبيين ليدخل الطمأنينة في نفوسهم، وخطب في المقاتلين خطبة دينية حماسية لينتزع بها الرعب الذي سيطر عليهم، وليعيد إليهم ثقتهم بأنفسهم وتمسكهم بالأمل في النصر[38].

وكان لهذه الخطبة بالفعل أثرها الكبير على الصليبيين، فعادت إليهم الثقة والشجاعة وهتفوا بصوت عال قائلين:

«ساعدنا يا رب.. ساعدنا يا رب» ثم قبلوا الصليب المقدس وقاموا بالصلاة لله حتى ينصرهم في تلك المعركة[39]، وفي الوقت نفسه وصلت معونات من غرب أوروبا لتعزيز هذه القوات فساعدت على زيادة قوة وشجاعة الصليبيين، وتحقق بذلك النصر على المسلمين في حملة الرملة الأولى عام 495هـ/ 1101م[40].

---

(38) Anonymous, Gesta Francorum Expugnantium Iherusalem, cf. R.H.C. -H. Occ. III, pp. 528-529, Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 157.

(39) Anonymous: Op. Cit., t. III, p. 529.

(40) Fulcher of Chartres: Op. Cit., pp. 158-160, Grousset: Op. Cit., t. I, pp. 255-257. انظر أيضاً العظيمي: المصدر السابق، ص 374، ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 140، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 67 ـ 68، المقريزي: إتعاظ الحنفا، ج 3، ص 26.

وكذلك برز دور روبرت روان ـ Robert de Rouen ـ مطران مدينة الرملة أثناء الحملة الفاطمية الثانية على الرملة سنة 495هـ/ 1102م، حيث تذكر بعض المصادر اللاتينية المعاصرة لتلك الأحداث أن هذا المطران عقد اجتماعاً مع كبار أهالي المدينة للتشاور معاً، عقب استيلاء المسلمين عليها، وتقرر في هذا الاجتماع ضرورة إرسال مندوب عنهم إلى الملك بلدوين الأول بيافا لطلب النجدة منه[41].

وهكذا نجد رجل الدين الغربي يقوم أحياناً محل حاكم المدينة في التصدي لقوات العدو عند أي هجوم مفاجيء على المدن الصليبية وهذا ما نلمسه بالنسبة لوضع الفقهاء والعلماء داخل مدنهم.

وقد انتهى الصراع الإسلامي الصليبي عند مدينة الرملة بانتصار المسلمين انتصاراً كبيراً نتج عنه إبادة كل أفراد الجيش الصليبي باستثناء الملك بلدوين الذي تمكن من الفرار إلى يافا[42].

أما بالنسبة للحملة الثالثة التي أرسلها الوزير الفاطمي الأفضل إلى الرملة سنة 498هـ/ 1105م، فقد لعب أثناءها أفريمار ـ Evremar ـ بطريرك بيت المقدس دوراً هاماً وخطيراً[43]، فعندما تقابل الجيشان الفاطمي والصليبي في مفترق الطرق عند الرملة خشى الملك بلدوين من التفوق العددي للقوات الإسلامية، فأرسل مندوباً عنه برسالة إلى أفريمار ـ Evremar ـ يطلب منه أن يتضرع إلى الله هو والعامة من الشعب وأن يكثروا من الصلاة

(41) Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 164.

(42) العظيمي: المصدر السابق، ص 376، ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 141، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 68، انظر أيضاً:
Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 169, William of Tyre: Op. Cit., t. I, p. 445.

(43) لقد تم انتخابه في عام 1103م بطريرك على بيت المقدس بمعرفة الكرادلة وشعب هذه المدينة المقدسة، وهناك اختلاف في اسمه بين Ebremar وEuvemar، ولكنه علم بتعيينه بموجب خطاب موجه إليه مؤرخ 3 إبريل 1104م. لمزيد من التفصيلات راجع Du Cange, Op. Cit., pp. 715-716.

والصوم والزكاة ليكون هذا بمثابة فدية أو قرباناً إلى الله لمساعدة الفرنج حتى النصر وليحمي الله الفرنج من أية هزيمة قد تلحق بهم. كما طلب منه الملك بلدوين أيضاً أن يعظ الناس ويحثهم على ضرورة التطوع لحمل السلاح والإسراع إلى ميدان القتال للانضمام لإخوانهم لمساندتهم في حروبهم ضد المسلمين(44).

وفي الحال أمر أفريمار بدق أجراس الكنائس، فاجتمع الناس جميعاً عنده، فخطب فيهم قائلاً: «يا أصدقائي.. يا خدم المسيح، لقد حضر هذا المبعوث من قبل الملك بلدوين ليخبرنا أن المعركة ستبدأ مع المسلمين عند الرملة. ومن أجل تحقيق النصر يتحتم علينا التضرع إلى الله، وكثرة الصلاة، وأخبرنا هذا المندوب الملكي بأن الملك قد أخر بدء المعركة إلى الغد حتى يوافق هذا اليوم عيد القيامة المجيد ولذلك فإنني أطلب منكم جميعاً إقامة الصلوات والتعبد طوال هذه الليلة، وعند بزوغ فجر الغد توجهوا حفاة إلى الأماكن المقدسة بالمدينة، تاركين وراءكم كل شهواتكم، مذللين أنفسكم، متضرعين إلى الله بكل التقوى والإيمان، لينقذنا من أيدي الأعداء، ولينصرنا عليهم. أما عن نفسي فإنني ذاهب في الحال للوقوف بجوار الملك. واعلموا جيداً بأنني سوف أحث جميع القادرين منكم على حمل السلاح على أن يأتوا معي لسد حاجة الملك من المقاتلين»(45).

وكان لهذا النداء صدى كبيراً لدى كثير من المسيحيين الموجودين في القدس فسرعان ما تقدم أكثر من مائة وخمسين مقاتل أبدوا رغبتهم في الانضمام إلى المعسكر الصليبي بالرملة لمناصرة زملائهم. وفي صباح اليوم التالي ذهب برفقة هؤلاء المتطوعين كثير من القساوسة وعلى رأسهم أفريمار بطريرك بيت المقدس حاملاً الصليب المقدس. وقد وصلت هذه الجموع برئاسته إلى الملك بلدوين، وكان أفريمار قد أحضر الصليب المقدس معه،

(44) Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 183, Anonymous: Gesta, Op. Cit., t. III, 540.

(45) Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 184.

حتى تتم البركة به، وعند وصولهم استقبلهم الملك بفرح وسرور عظيمين، وارتفعت الروم المعنوية لدى المقاتلين الصليبيين، وقاموا جميعاً بأداء صلاة الشكر والدعاء لله قبل أن تبدأ المعركة[46].

وعند طلوع فجر يوم المعركة - وهو يوم الأحد 14 ذي الحجة 498هـ/ 27 أغسطس 1105م، ارتدى أفريمار ملابسه كاملة وحمل الصليب المقدس في يده، وركب حصانه وأخذ يغدو ويروح أمام صفوف الصليبيين، ويباركهم، ليرفع من روحهم المعنوية ويشجعهم على القتال بنفوس مطمئنة بأن النصر سيكون حليفهم[47].

فكان لهذه الجهود جميعها تأثيراً كبيراً وشديداً في زيادة حماس المقاتلين الصليبيين تحت قيادة الملك بلدوين، فلم يبالوا بقلة عددهم أمام أعداد المسلمين الهائلة. وكان النصر للجيش الصليبي في نهاية هذه المعركة. وبهذا النصر الصليبي انتهت المحاولات الكبرى التي قامت بها الخلافة الفاطمية لاستعادة فلسطين من قبضة الصليبيين[48].

وجدير بالذكر أنه على الرغم من كثرة ما كتبه المؤرخون اللاتين القدامى عن بطولات رجال الدين المسيحي أثناء حملات الرملة الثلاث، فإننا لم نجد في كتابات المؤرخين المسلمين الذين تناولوا الكتابة عن تلك الفترة أية إشارات توضح لنا دور علماء الدين الإسلامي وفقهائه في تلك الأحداث، وربما يرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا يسجلون تاريخهم على منهج

---

(46) Albert d'Aix, Op. Cit., p. 622, Anonymous, Gesta, Op. Cit., Loc. Cit., also Grousset: Op. Cit., t. I, p. 244.

انظر كذلك: أسامة زيد: المرجع السابق، ص 64 - 65.

(47) رانسيمان: المرجع السابق، ج 2، ص 146.

(48) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 148 - 149، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 9، ص 498، المقريزي: المصدر السابق، ج 3، ص 35، انظر أيضاً:
Fulcher of Chartres: Op. Cit., p. 186-188, cf. also: Grousset: Op. Cit., t. I. pp. 245-246.

الحوليات، فيركزون على أهم الأحداث دون كتابة التفاصيل الدقيقة المصاحبة لهذه الأحداث. ولهذا لم نعثر من قريب أو بعيد على معلومات توضح لنا موقف علماء وفقهاء المسلمين من هذه الحملات.

أما عن موقف رجال الدين المسيحي من خروج الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق، فإنه لم يكد نبأ سقوط الرها ـ في يد عماد الدين زنكي سنة 539هـ/ 1144م ـ يتردد في عواصم غرب أوروبا حتى أثار مخاوفاً وقلقاً شديدين، وأدرك الصليبيون أن ذلك يمثل بداية النهاية لبقية الإمارات الصليبية في الأراضي المقدسة بالشرق. ولذلك فقد اجتمعت مليسند ـ Melisend[49] ـ ملكة بيت المقدس بالمسؤولين عن إمارة أنطاكية، واستقر الرأي على إرسال وفد إلى البابا يوجينيوس الثالث 540 ـ 548هـ/ (1145 ـ 1153م)، ليدعو إلى حملة صليبية جديدة فقامت بالفعل في أوروبا حركة كبيرة تدعو بكل حماس إلى سرعة القيام بهذه الحملة لإعادة إمارة الرها إلى المسيحيين. وبادر البابا يوجينيوس الثالث بدعوة لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث امبراطور المانيا ليتزعما تلك الحملة[50]. وقد رحب لويس السابع بطلب البابا، ودعا أتباعه للاجتماع به للنظر فيما يتخذ من الترتيبات، ولما لم يبد هؤلاء أي حماس للاشتراك في هذه الحملة. قرر الملك لويس السابع تأجيل تنفيذ دعوة البابا لمدة ثلاثة شهور، ولجأ إلى أحد أعلام الدين المسيحي في مملكته، وهو القديس برنارد ـ Sain Bernard[51] ـ رئيس دير

---

(49) مليسند ـ Melisend ـ هي ابنة الملك بلدوين الثاني وقد احتلت مكانة كبيرة في مملكة بيت المقدس، وقد أعلن والدها قبل وفاته أحقيتها في وراثة عرش المملكة من بعده بصفتها كبرى بناته، ولذلك كانت تشارك أباها في كثير من شؤون الدولة مما أكسبها خبرة ودراية بشؤون الحكم عندما اعتلت عرش المملكة وقد تزوجت من فولك كونت أنجو الذي أصبح فيما بعد ملكاً على بيت المقدس.

Mayer H., Studies in History of Queen Malisend of Jerusalem, Cf. Dumbartory, Oaks Paper, 26, New York, 1977, p. 99.

(50) رانسيمان: المرجع السابق، ج 2، ص 397 ـ 399 وص 405.

(51) كان القديس برنارد رئيساً لدير كليرفو بفرنسا، وكان في ذلك الوقت في ذروة مجده =

كليرفو الذي كان يتمتع بشهرة كبيرة ويفوق الملك في السلطة على حد تعبير المؤرخ الانجليزي رانسيمان، فقد كان له قدرة عظيمة على الإقناع والتأثير في الناس، ولم يكد الملك لويس السابع والبابا يوجينيوس يطلبان منه القيام بالدعوة للحملة الصليبية حتى أسرع القديس برنارد لتلبية هذا الطلب والعمل بكل قواه من أجل إنجاح هذا المسعى[52].

وكما وقف البابا أوربان الثاني في كليرمونت يدعو للحملة الصليبية الأولى قبل ذلك بخمسين سنة، وقف القديس برنارد خارج كنيسة فيزيليه في شوال 540هـ/ مارس 1146م يدعو للحملة الصليبية الثانية، ونفذ ببلاغته إلى قلوب متعطشة للحرب والمغامرة فتشتعل ناراً، فلما استمع الناس لسحر بيانه وبلاغته وفصاحته، أخذوا يصيحون طالبين الصلبان، وخلال فترة قصيرة نفذ كل القماش الذي جهز لتخلط منه الصلبان، وعندئذ خلع القديس برنارد أرديته الخارجية، فقطعت وحيكت صلباناً، وظل هذا القديس ومساعدوه يخيطون الصلبان لكل الذين تطوعوا للاشتراك في هذه الحملة[53].

وبعد عدة أيام كتب القديس برنارد رسالة إلى البابا يتضح منها مدى تأثير رجال الدين المسيحي في الناس ومدى طاعة الناس لهم. فيقول فيها: «لقد أمرتم، فأطعت، وما كان لمن أصدر الأمر من سلطة، جعلت طاعتي مثمرة، فلم أكد أفتح فمي وأتحدث حتى تكاثر الصليبيون، فلا حصر

= وشهرته، وهو من علماء الدين المسيحي ومن رجال المناظرة فيه. وكان بالغ الصلابة مع شيء من الخشونة، ظل رئيساً لديركليرفو منذ سنة 1115م ـ وكان في الخامسة والعشرين من عمره ـ وحتى وفاته بعد نحو أربعين سنة. وكان مسيطراً على الحياة الدينية والسياسية في غرب أوروبا وكان مهتماً منذ زمن طويل بمصير الشرق المسيحي، ومن اهتماماته أنه أسهم في سنة 1128م في وضع الأسس التي تكونت عليها جماعة فرسان المعبد. انظر: رانسيمان: المصدر السابق، جـ 2، ص 406.

(52) رانسيمان: المرجع السابق، ج 2، ص 407 ـ 409.

(53) للرجوع إلى نص رسالة البابا أنوسنت الثالث إلى السلطان العادل الأيوبي انظر:
Chronique de Richard de Saint-Germain, Op. Cit., t. I, p. 584.

لعددهم، فالقرى والمدن هجرها سكانها، فلا تكاد تجد رجلاً واحداً لكل سبع نساء ويصادفك في كل مكان الأرامل اللائي لا زال أزواجهن أحياء».

وبعد ذلك أخذ الحماس يزداد عند القديس برنارد، بعد النجاح الذي أحرزه في فرنسا، فأخذ يطوف أقاليم المانيا مؤملاً أن يجتذب الألمان للاشتراك في هذه الحملة. وقد نجح إلى حد كبير في التأثير على كونراد الثالث ملك المانيا للانضمام إلى المقدسة، ويطلب منهم أن يقوموا بشرح الإعلان البابوي الذي بعث به البابا إلى كافة مدن أوروبا من أجل أن يتحمل الجميع مسؤولية مساعدة الأرض المقدسة بفلسطين والعمل على تحريرها، وأمرهم قائلاً في رسالته: «. . . ويجب عليكم وبإخلاص أن».

واستقر رأي المشاركين في هذه الحملة على مهاجمة دمشق واحتلالها[54]، واشتراك رجال الدين المسيحي جنباً إلى جنب مع الجند في حصار دمشق، فكان مع الملك الألماني كونراد قسيس عجوز يدعى الياس، طويل اللحية، يعتقدون به، فلما حاصروا دمشق، ركب هذا القسيس حماره وعلق على عنقه صليباً وحمل في يده صليباً، وجمع القساوسة بالصلبان، وركب الملوك والفرسان بين يديه، ولم يتخلف من الصليبيين المشاركين في الحصار أحد إلا من تركوه لحفظ الخيام. ووقف هذا القسيس أمام الجميع وهو يتقدمهم قائلاً: «لقد وعدني المسيح أني أفتح اليوم دمشق ولا يردني أحد». ولكن باءت نبوءته بالفشل، إذ هاجمه أحد شباب المجاهدين المسلمين فقتله وقتل حماره معه[55].

(54) عن تفاصيل حصار دمشق في الحملة الصليبية الثانية راجع ما سبق، ص 165 ـ 166 من هذا البحث، وكذلك: ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 298، ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 88، أبو شامة: الروضتين، ج 1، ص 52، ومن المصادر والمراجع الأجنبية انظر:

William of Tyre: Op. Cit., t. II, 189, cf also: Grousset: Op. Cit., t. II, pp. 243-245.

(55) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، ص 128 ـ 129.

ولما ضاق الحال بأهل دمشق، «أخرجوا الصدقات والأموال على قدر أحوالهم، واجتمع الناس في الجامع الرجال والنساء والصبيان، ونشروا مصحف عثمان رضي الله عنه، وحثوا الرمال على رؤوسهم وبكوا وتضرعوا»[56].

هذا في الوقت الذي وقف فيه العلماء والفقهاء المسلمون موقفاً إيجابياً تجاه الغزو الصليبي لدمشق، ولعل دورهم في ذلك يتضح بصورة جلية في موقف الفقيه حجة الإسلام يوسف الفندلاوي، والفقيه عبد الرحمن الحلحولي، فقد حملا السلاح مع المجاهدين للذود عن الإسلام ورفعا لرايته ضد أعداء، فقاتلا حتى استشهدا في مكان واحد[57].

ومما يؤسف له أننا لم نعثر في أمهات الكتب عن موقف بقية فقهاء وعلماء المسلمين من هذا العدوان الغاشم في كافة البلاد الإسلامية الأخرى. في الوقت الذي نجد فيه رجال الدين الغربيين يطوفون البلاد الأوروبية من شرقها إلى غربها للدعوة إلى خروج جيوشهم لتحقيق هدف سام بالنسبة لهم وهو الاحتفاظ بما في حوزتهم في البلاد المقدسة والعمل على تثبيت نفوذهم فيها.

وقد فشلت الحملة الصليبية الثانية دون أن تحقق ما جاءت من أجله وعادت إلى الغرب الأوروبي تجر وراءها أذيال الفشل والعار[58] وقد حاول

---

(56) ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، نفس الصفحات.

(57) أسامة بن منقذ: المصدر السابق، ص 94 ـ 95، أبو شامة: الروضتين، ج 2، ص 452، ابن خلكان: المصدر السابق، ج 2، ص 452، ابن كثير: المصدر السابق، ج 12، ص 240 ـ 241، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 5، ص 282، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج 4، ص 126، راجع أيضاً ما سبق، ص 165 ـ 166 من هذا البحث.

(58) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص 299 ـ 300، ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 354، ولمزيد من التفاصيل عن نتائج فشل هذه الحملة انظر:
William of Tyre: Op. Cit., t. II, pp. 196-197, Riley- Smith: Op. Cit., pp. 19-20.
راجع أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 2، ص 460 ـ 463، أرنست باركر: المرجع السابق، ص 76 ـ 77.

القديس برنارد أن يقنع كل من الملك كونراد والملك لويس بإعادة الكرة مرة أخرى والقيام بحملة صليبية جديدة، ولكن جهوده ضاعت سدى[59]. وظل الغرب الأوروبي مشغولاً بمشاكله الخاصة منذ ذلك الحين دون أن يفكر في إخراج حملة صليبية أخرى للأراضي المقدسة حتى وقوع معركة حطين واستعادة المسلمين بيت المقدس ومعظم المدن الصليبية بالشام عام 583هـ/ 1178م وعندئذ أحدث ذلك رد فعل شديد في غرب أوروبا وأخذت أصوات الكهنة والوعاظ من رجال الدين المسيحي ترتفع في كل مكان في غرب أوروبا تناشد الجماهير لإنقاذ آثار المسيح المقدسة من المسلمين، وتنادي المسيحيين بالتوبة عن خطاياهم التي كانت السبب الرئيسي في إمكانية حدوث هذه الكارثة وضياع بيت المقدس من أيديهم. وبدأ الجميع يتحدثون عن ضرورة القيام بحملة صليبية جديدة، وعادت إلى أوروبا أصوات صليل السلاح ودقات طبول طوابير الجنود[60].

وكان جوسياس رئيس أساقفة صور قد سافر إلى الغرب الأوروبي لطلب النجدة العاجلة من البابا وملوك غرب أوروبا، فلما علم البابا جريجوري الثامن بذلك بادر على الفور بإرسال كتاب إلى جميع المسيحيين في غرب أوروبا يشرح لهم فيه كيفية ضياع بيت المقدس وما حدث لصليب الصلبوت، ويؤكد في كتابه هذا على أن سقوط الرها منذ أربعين سنة كان نذيراً بذلك. ثم أوضح لهم أن الحاجة ملحة بدرجة كبيرة على ضرورة بذل أقصى جهودهم لمساعدة إخوانهم بالشرق. وأخذ يغريهم بأن من يفعل ذلك سيكفر عن خطاياه وستغفر ذنوبه. وطمأنهم بأن أموالهم وأمتعتهم الدنيا ستكون في حماية الكنيسة. ثم دعاهم إلى الصيام كل يوم جمعة لمدة خمس سنوات، وعدم أكل اللحم يومي الأربعاء والسبت، وأمر بأن يخرج مبعوثون من روما ليتوجهوا إلى كافة أمراء العالم المسيحي، ويفرض عليهم الهدنة

(59) رانسيمان: المرجع السابق، ج 2، ص 461.

(60) King: Op. Cit., p. 140.

لمدة سبع سنوات[61]. ويقال أن جميع الكرادلة أقسموا أنهم سوف يكونون أول من يتخذون الصليب، وأنهم سوف يقودون الجيوش المسيحية إلى فلسطين باعتبارهم مبشرين[62].

ولكن لم يلبث البابا جريجوري الثامن أن توفى في شوال 583هـ/ ديسمبر 1187م وقبل أن يشهد نتائج جهوده. وتم اختيار بابا جديداً مكانه يدعى البابا كليمنت الثالث (1187 ـ 1991م) الذي بادر بالاتصال بملوك غرب أوروبا من أجل إتمام ما بدأه سلفه.

وانتشرت أخبار هذه الحملة بشكل واسع النطاق، خاصة بين رجال الدين المسيحي. فأسرع الكثيرون منهم، خاصة الرهبان وتركوا أديرتهم، وأنتزعوا ملابس الرهبنة وارتدوا ملابس الجنود، ووضعوا الدروع وانتظموا في صفوف الجند المسيحي.

أما رجال الدين المسيحي الذين بقوا في وظائفهم بالكنائس فقاموا أيضاً بدور فعال من أجل إنجاح هذه الحملة، فعقدوا مجالس عامة للوعظ داخل الكنائس يحثون الناس فيها على التمسك بحزم بضرورة التقشف والابتعاد عن كل مظاهر الترف، وذلك ليتسنى لهم مساعدة المتطوعين من الفقراء للتجهز للسفر مع الحملة[63].

وقد وصلت هذه الحملة إلى بلاد الشام بزعامة كل من فيليب أوغسطس ملك فرنسا ورتشارد قلب الأسد ملك انجلترا واستولت على عكا عام (587هـ/ 1191م).

وهكذا يتضح لنا دور رجال الدين المسيحي في الإعداد للحملة الصليبية الثالثة على عكا، فحمل بعضهم لواء الدعوة للحملة وحث الناس

---

(61) رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 21 ـ 22.

(62) رانسيمان: نفس المرجع والجزء والصفحة.

(63) Geoffry de Vinsauf: Op. Cit., pp. 85-86.

عليها، وتطوع الكثيرون منهم وحملوا السلاح وتركوا أديرتهم وسافروا للقتال، والبعض الآخر منهم شارك بالوعظ في الكنائس وجمع التبرعات لاستكمال تجهيز الحملة. ومن ذلك نستطيع القول أن دورهم كان فعالاً وكان له أكبر الأثر في تلك الأعداد الهائلة من الصليبيين التي شاركت في هذه الحملة.

أما عن موقف الفقهاء والعلماء المسلمين من هذه الحملة، فلقد كان موقفاً إيجابياً بطولياً مشرفاً. فقد وقفوا إلى جانب صلاح الدين يشجعونه ويحيطونه بكل الحب والإخلاص، ويمدونه بآرائهم ونصحهم تارة، وبأسلحتهم وأرواحهم تارة أخرى، يدافعون عنه ويستشهدون وهم يحولون دون وصول الأعداء إلى خيمته، ليظل يقود المسلمين أثناء القتال، لأن وجوده بين جنده يقوي من روحهم المعنوية ويزيد من صلابتهم أمام أعدائهم وقد شهدت المصادر التاريخية الإسلامية وأشادت بالدور الذي قام به الصفوة المختارة من الفقهاء والعلماء أثناء دفاعهم عن الإسلام والمسلمين في عكا. وبالتحديد أثناء أشد وأعنف الوقعات التي حدثت بين الصليبيين والمسلمين، وهي التي أطلق عليها المؤرخون ـ الوقعة الكبرى ـ وفيها قدم الفقهاء والعلماء بطولات عظيمة سجلها لهم التاريخ بأحرف من نور[64].

ولم يقتصر دور الفقهاء والعلماء فقط على حمل السلاح ومقاتلة الصليبيين لدفعهم عن عكا كما أوضحنا من قبل، بل أيضاً قاموا بدور معنوي كبير داخل المعسكر الإسلامي، كان له أكبر الأثر في نفوس المجاهدين المسلمين. فكان هؤلاء الفقهاء والعلماء يطوفون بين الجند المقاتلين يبثون الشجاعة في نفوسهم، فالقراء يقرأون القرآن ويحذرون الجند من الأدبار من المعركة لأن الله لا يحب المدبرين، كذلك يذكرونهم بما أعده الله تعالى للشهداء في الجنة من جزاء عظيم، ويستشهدون في ذلك بآيات الله الكريمة

(64) عن تفاصيل معركة «الوقعة الكبرى» وما قام به الفقهاء والعلماء في تلك المعركة انظر ما سبق ص 215 ـ 216 من هذا البحث.

وبالأحاديث النبوية الشريفة، فيرفعون الروح المعنوية للجند ويزيدون من تصميمهم ومصابرتهم في الجهاد، مثل كان المعارك والفتوح التي كان صلاح الدين الأيوبي يخوضها، وكان للقاضي بهاء الدين بن شداد دوراً عظيماً في هذا الشأن(65)، ولا ننسى هنا الدور الخطير الذي قام به أحد هؤلاء الفقهاء والعلماء المخلصين، وهو القاضي الفاضل، وزير صلاح الدين الذي كان يدير شؤون مصر نيابة عن قائده أثناء حصار الصليبيين لعكا، فكان يقوم بتجهيز العساكر والأسطول في مصر لنقلها مع الأموال والمؤن والعتاد إلى عكا. وهذه المهمة الخطيرة التي كان القاضي الفاضل يقوم بها، هي ما يطلق عليه الآن في الجيوش الحديثة والمعاصرة، مهمة الإمداد والتموين، ولا شك أن النجاح لأي جيش في معاركه إنما يتوقف على مدى الدقة والسرعة في توفير الإعداد والتموين اللازم له، ولذلك فقد قام القاضي الفاضل بإحراز نجاح كبير في مهمته هذه(66).

وإذا كان رجال الدين المسيحي قد بذلوا جهوداً كبيرة للدعوة للحملات الصليبية ضد الشرق الأدنى، فلم يكن ذلك قاصراً على مرحلة بذاتها من داخل الصراع الإسلامي الصليبي، وإنما استمروا في جهودهم حتى نهاية عصر الحروب الصليبية بنفس القوة والنشاط والحيوية التي كانت ملازمة لهم منذ بدء الحركة الصليبية، فقد ازداد نشاط هذه الدعوة سنة 611هـ/ 1214م على يد البابا أنوسنت الثالث ـ Innocent III ـ (1198 ـ 1216م) الذي أرسل المبشرين بالحملة الصليبية الخامسة إلى كافة أنحاء أوروبا يثيرون الحماس الديني في الناس للانضمام إلى قوات الحملة، بهدف التوجه إلى الشرق لاسترداد الأماكن المقدسة والقضاء على المسلمين.

وفي السنة نفسها أرسل البابا أنوسنت الثالث رسالة إلى السلطان العادل

---

(65) ابن شداد: المصدر السابق، ص 162، وص 212.

(66) عن دور القاضي الفاضل في إمداد صلاح الدين بالمؤن والعتاد من مصر انظر: أبو شامة: المصدر السابق، ج 2، ص 165، ابن كثير: المصدر السابق، ج 12، ص 361، كذلك انظر ص 220 ـ 221 من هذا البحث.

الأيوبي يطلب منه فيها تسليم بيت المقدس للصليبيين، ومما ورد في هذه الرسالة: «... لذلك نرجو من سعادتكم وعظمتكم التوقف عن سفك الدماء في الأراضي المقدسة التي تحتلونها، كما أنني أطلب منكم إعادتها إلينا لأنكم ستعانون منها أكثر مما ستنتفعون بها، ولنتبادل الأسرى، ولنتوقف كل من جانبه عن مهاجمة بعضنا البعض، ولتكن أوضاع إخواننا الذين تحت أيديكم ليست بأسوأ من أوضاع أصحابكم الذين تحت أيدينا. ولتقابلوا رسلنا المكلفين بحمل هذه الرسالة مقابلة طيبة، وليكن جوابكم بمستوى ما نتوقعه منكم»[67].

كذلك أرسل البابا أنوسنت الثالث عدة رسائل إلى رهبان الأديرة ورؤسائها يدعوهم من خلالها للعمل والدعوة لإنجاح الحملة المتجهة إلى بلاد الشرق لاسترداد الأراضي المقدسة، ويطلب منهم أن يقوموا بشرح الإعلان البابوي الذي بعث به البابا إلى كافة مدن أوروبا من أجل أن يتحمل الجميع مسؤولية مساعدة الأرض المقدسة بفلسطين والعمل على تحريرها، وأمرهم قائلاً في رسالته: «... ويجب عليكم وبإخلاص أن تعملوا على براءة المسيح من الظلم الذي حل عليه، وأن تجتهدوا في توضيح ما جاء بالمنشور البابوي بكل دقة... وأن تنقلوا بكل عناية ودقة كل محتويات هذا الخطاب من أجل معاونة الأراضي المقدسة، التي نود أن تولوها الأهمية الفائقة»[68].

وفي الوقت نفسه أوصاهم بعدم الإسراف والإدخار بقدر المستطاع حتى يتسنى لهم المساعدة في تجهيز الحملة الصليبية، كما أمرهم بقبول

---

(67) للرجوع إلى نص رسالة البابا أنوسنت الثالث إلى السلطان العادل الأيوبي انظر:
Chronique de Richard de Saint-Germain, Op. Cit., t. 1, p. 584.

(68) للرجوع إلى نص هذا الخطاب انظر:
Innocent III, (Pope), Letter to the abbot of Salem the former abbot of Neuburg, the Dean of Speyer and the provost of Ausburg., cf Riley Smith, the Crusades (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 121-122.

التبرعات التي سيتبرع بها الناس من أجل مساعدة وتخليص الأراضي المقدسة. وأوصاهم أيضاً بالحرص على إيداع هذه التبرعات في أحد البيوت الدينية وإبلاغ البابوية في نهاية العام بما أسفرت عنه جهودهم في هذا العمل وما أتت به من ثمار[69].

وفي رسالة أخرى وجهها البابا أنوسنت الثالث إلى كونراد، رئيس رهبان سبير - Speyer - يطلب منه أن يقنع المتطوعين الذين يحملون الصليب والذين عرضوا الخروج لمواجهة جماعة المنشقين في بروفانس، أن يتوجهوا إلى بيت المقدس لتخليصه من المسلمين، لأن في هذا العمل ميزة وفضيلة كبيرة[70].

ولم يكتف البابا أنوسنت بذلك، بل أرسل رسالة أخرى إلى كونراد أسقف ريجنزبيرج - Regensburg - يسمح له فيها بمباشرة «منح الغفران» لمن يرغب في الانضمام إلى الحملة الصليبية من مثيري الفتن والقلاقل. حتى يشجع الكثيرين على الانضمام لهذه الحملة طمعاً في هذا الغفران على الجرائم والآثام التي ارتكبوها[71].

وكذلك أعلن البابا أنوسنت الثالث لجميع أساقفة الكنيسة المطرانية ولرئيسهم أنه قد أخذ موافقة جميع الأساقفة ورجال الدين المقيمين لديه بالمقر البابوي، على تخصيص العشر من دخلهم الإجمالي من الأموال وما إلى ذلك، لمساعدة الأقاليم الشرقية. وكذلك أمرهم جميعاً في خطاب بابوي بأن يسلم كل من المسؤولين عن الكنائس - على الأقل مما يحصل عليه من

---

(69) Idem: p. 122.

(70) انظر نص هذا الخطاب في:

Innocent III, (Pope), Letter to Conrad, Dean of Speyer, cf. Riley Smith, the Crusades (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 122-123.

(71) انظر نص هذا الخطاب في:

Innocent III, (Pope), Letter to Conrad, Bishop of Regensburg, cf Riley Smith, The Crusades (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 123-124.

مصادر دخل كنيسته لصالح إعانة الأراضي المقدسة، وذلك بعد أن يقتطع منها مقدار الفوائد التي لا يمكنه التغاضي عن دفعها. وموضحاً لهم أن أي شخص يرفض إعطاء هذه النسبة الضئيلة في وقت الاحتياج الشديد، فهذا الشخص يستحق اللوم بقسوة، وأن البابوية لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تخفي أو تداري خطورة تصرفه هذا.

ثم صرح البابا في خطابه هذا أنه يمنح الغفران الكامل والشامل لكل الخطايا، لهؤلاء الذين التحقوا للعمل بهذه الحملة بأنفسهم وعلى نفقتهم الخاصة، كما منح الغفران الكامل أيضاً للذين لم يشتركوا بأنفسهم فأرسلوا غيرهم وتولوا هم الصرف على تجهيزه للسفر في هذه الحملة، كما منح الغفران للذين يؤدون عن شخص آخر تطوعاً منهم ليوفوا عهده الذي كان قد قطعه على نفسه، كما صرح البابا أيضاً بأنه منح الغفران والصفح للذين يخصصون جزءاً من بضائع تجارتهم لمساعدة وإغاثة الأراضي المقدسة، تبعاً لكمية المعونة، وعمق إيمانهم وإخلاصهم[72].

وهكذا كان البابا أنوسنت الثالث بشخصيته القوية وصرامته عاملاً رئيسياً في تكوين الحملة الصليبية الخامسة، ولكن فاجأه الموت عام 613هـ/ مايو 1216م فلم يشهد ثمار جهوده.

وبعد وفاته بيومين تم انتخاب هونوريوس الثالث لمنصب البابوية، وكان حريصاً على أن ينتهج نفس خطى سلفه، وأن يكمل ما بدأه بخصوص الحملة الصليبية التي كان يعد لها قبل وفاته. فكتب إلى الملك حنا دي بريين في عكا يخبره أن الحملة الصليبية على وشك القدوم إليه، وفي نفس الوقت أرسل البابا هونوريوس أيضاً إلى ملوك أوروبا يدعوهم للاشتراك في هذه الحملة.

---

(72) انظر نص هذا الخطاب في:

Innocent III, (Pope), Letter for Taxation of Church for the Crusades, cf Riley Smith, The Crusades (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 145-147.

ولما استعدت الحملة سارت إلى الشرق، وتجمعت القوات الصليبية في مدينة عكا في سنة 614هـ/ 1217م. وهناك قرر رؤسائها استغلال هذه القوات لغزو مصر عن طريق دمياط تحت قيادة الملك حنا دي بريين[73]. وبالفعل توجهت الحملة بحراً بقيادة حنا دي بريين من عكا إلى دمياط فوصلت في ربيع الأول 615هـ/ يونيو 1218م.

وتعد الرسالة التي كتبها جيمس فيتري - James of Vitry[74] - إلى البابا هونوريوس الثالث من المصادر الأجنبية الهامة لدراسة أحداث الحملة الصليبية الخامسة على دمياط.

وكان رجال الدين المسيحي من الأساقفة والرهبان يشاركون القوات الصليبية أثناء محاولاتهم الوصول إلى دمياط. ويقومون بالصلاة مع الجنود حتى يزيدوا من إصرارهم ومصابرهم على المعاناة التي يلاقونها[75].

عندما وصل المندوب البابوي الكاردينال بلاجيوس[76]، في جمادى

(73) يوضح ابن واصل أن للصليبيين عندما تشاوروا في أمر مصر قبل التوجه إليها قالوا: «إن الملك الناصر صلاح الدين إنما استولى على الملك وأخرج القدس والساحل من أيدي الفرنج بملكه ديار مصر وتقويته برجالها، فالمصلحة أن نقصد أولاً مصر ونملكها. حينئذ فلا يبقى لنا مانع عن أخذ القدس وغيره من البلاد». انظر ابن واصل: المصدر السابق، ج 3، ص 258.

(74) جيمس فيتري: هو أحد كهنة الصليب القياديين، وهو أسقف عكا، وكانت البابوية قد بعثت به إلى فلسطين لإثارة حماس ونشاط اللاتين المحليين في المنطقة. وقد شاهد بعينيه ما حدث في دمياط أثناء الحملة الصليبية الخامسة وقام بكتابة خطاب إلى البابا هونوريوس الثالث يصف فيه العناء الشديد الذي لاقاه الصليبيون أثناء حصارهم لدمياط بسبب شدة مقاومة المسلمين بها، ويصف له أيضاً مدى الشقاء الذي سببه لهم البعد عن ديارهم، والمرض والموت الذي لحق بالكثيرين منهم، ثم يوضح له حالة قادة هذه الحملة والخلافات التي دبت بينهم. وفي النهاية فشل هذه الحملة. انظر:

James of Vitry: Letters, cf. Rilley Smith: The Crusade Op. Cit., pp. 165-171.

(75) Oliver of Paderborn: Op. Cit., p. 51, James of Vitry: Op. Cit., pp. 166-167, Anonymous: Memorial de Podestals de Reggio, Op. Cit., t. II, pp. 589-590.

(76) الكاردينال بلاجيوس كان إسبانياً، اشتهر بدأبه الشديد على العمل، وله خبرة إدارية =

الآخر 615هـ/ سبتمبر 1218م، أمام دمياط، أخذ يقود القوات الصليبية حاملاً بين يديه الصليب الحقيقي وهو يحث الفرسان والمشاة على الجهاد في سبيل نصرة المسيحية ومهاجمة أعدائه العنيدين، وكان يدعو بصوت مرتفع كله رجاء مذرفا سيلاً من الدموع قائلاً: «إلهي انجدنا، إلهي حافظ علينا، استجب لدعائنا. إلهي لقد ذكرناك يوم مصائبنا، إلهي فاستجب لدعائنا».

وكان لهذه الكلمات وهذا التشجيع أثره في نفوس الصليبيين فردوا هجوم المسلمين(77).

ومما يذكره المؤرخون اللاتين المعاصرون لهذه الأحداث، أنه في شهر شعبان عام 615هـ/ نوفمبر 1218م حاول جماعة من الرهبان عبور نهر النيل بسفينة بالقرب من دمياط، وإقامة أعمال تخريبية في المعسكر الإسلامي، ولكن هبت عاصفة قوية فألقت بالسفينة على أسوار دمياط. فأحاط بها المسلمون من كل جانب وهاجموها بشدة، فلما شعر الرهبان بأنه لا أمل في نجاتهم قاموا بتنفيذ خطة انتحارية، فثقبوا السفينة من أسفلها وغرقوا فيها، وغرق معهم المقاتلون المسلمون الذين صعدوا على هذه السفينة(78).

وفي تلك الأثناء حصن الملك الكامل ضفة النهر ليصبح العبور منها مستحيلاً فانهارت الروح المعنوية لدى الصليبيين وصاروا يهتفون ضد المندوب البابوي بلاجيوس، فقام بلاجيوس وأخذ يدعو لهم بالنصر، ثم أمر كل الجيش «بصيام ثلاثة أيام وبالسجود على الركبتين والإقدام حافية أمام الصليب المقدس لكي يهديهم المسيح إلى الطريقة التي تمكنهم من إبحار

= كبيرة، غير أنه كان يفتقر إلى الكياسة، وكان متصلباً في رأيه. لمزيد من التفاصيل عن شخصية هذا الكاردينال انظر: رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 275.

(77) انظر:

Anonymous, Memorial de podestals de Reggio: Op. Cit., II. p. 592.

(78) يذكر كل من جيمس فيتري ومؤرخ مجهول أن الخطة الانتحارية التي قام بها هؤلاء الرهبان كانت على طريقة شمشون عندما هدم المعبد قائلاً: عليّ وعلى أعدائي: انظر:

James of Vitry: Op. Cit., p. 166, anonymous, Memorial de Podestals de Reggio: Op. Cit., t. II, p. 593.

سفنهم في النهر، وبذلك يستطيعون خوض المعركة مع أعدائهم»[79].

وكان الصليبيون قد حفروا خندقاً عميقاً حول مخيمهم، فقامت عاصفة شديدة وسقطت الأمطار سيولاً، فامتلأ الخندق بالمياه الكثيرة، فاندفعت المياه من الخندق لتغرق المخيم على الصليبيين وتحطم سفنهم وتدفع بسفن صغيرة إلى المعسكر الإسلامي كان الصليبيون قد أعدوها لمهاجمة مدينة دمياط. ومرة أخرى يقف المندوب البابوي يصلي ويدعو من أجل كشف هذه الحالة عن الصليبيين. واستمر الصليبيون يقاسون طوال الشتاء من الفيضانات والبرد، وتفشى بينهم وباء خطير[80]. تسبب في موت الكثير من الصليبيين، مما أدى إلى تناقص عدد الجيش الصليبي بشكل ملحوظ.

فلما لاحظ المندوب البابوي تناقص عدد الجند الصليبيين يوماً بعد يوم، جمع الرجال وقال لهم: «أشقائي الأعزاء، ماذا يجب علينا أن نفعل؟ أليس الأجدر بنا أن نموت في ساحة القتال بدلاً من أن نعيش مثل السجناء على أرض غريبة؟»[81].

وأمر الجميع أن يجهزوا أسلحتهم ويستعدوا للقتال. وفي تلك الأثناء كان الملك الكامل محمد قد اضطر لترك المعسكر الإسلامي في العادلية - جنوب دمياط - في مقابلة الصليبيين، وذلك في 616هـ/ 1219م[82]، فتمكن الصليبيون من احتلال العادلية، وبهذا عزلوا مدينة دمياط تماماً واشتد حصارهم لها[83].

ومع ذلك اشتدت مقاومة المسلمين بقيادة الملك الكامل محمد مرة

---

(79) James of Vitry: Op. Cit., p. 168, Anonymous: Op. Cit., t. II, p. 494.

(80) يصف جيمس فيتري هذا الوباء ويصف أعراضه بدقة كبيرة. انظر:
James of Vitry: Op. Cit., p. 167.

(81) Anonymous Memorial de Podestals de Reggio: Op. Cit., t. II, p. 595.

(82) عن أسباب ترك الكامل للمعسكر الإسلامي في العادلية انظر: ابن واصل: المصدر السابق، ج 4، ص 16 - 17، المقريزي: السلوك، ج 1، ص 196 - 197.

(83) انظر ابن واصل: المصدر السابق، ج 4، ص 17 - 19، انظر أيضاً:
James of Vitry: Op. Cit., p. 168-169.

أخرى بعد أن أعاد تنظيم قواته وعسكر عند فارسكور، جنوبي العادلية، وظلت دمياط صامدة تقاوم تسعة أشهر أخرى، إلى أن وصلت نجدات صليبية جديدة، فلما علم الملك الكامل بذلك عرض عليهم عرضاً سخياً يتضمن أن يعيد الكامل إلى الصليبيين بيت المقدس وقلب فلسطين والجليل ماعدا حصن الكرك يظل بأيدي المسلمين، شريطة أن يجلو الصليبيون عن مصر. وقد قبل هذا العرض كل من حنا دي بريين وأمراء مملكته والصليبيون الفرنسيون والإنجليز والألمان، ولكن المندوب البابوي بلاجيوس رفض الموافقة عليه، وشاركه رأيه فرسان الداوية والاسبتارية، ظناً منهم أن الاستيلاء على مصر بات أمراً سهلاً. ولا يدل ذلك إلا على مدى سطوة رجال الدين وتحكمهم في الأمور المصيرية التي تتعلق بمستقبل الوجود الصليبي في المنطقة. وعلى ذلك رفض عرض الملك الكامل تحت تشدد بلاجيوس[84].

على أية حال إزاء تلك الكارثة التي كان المسلمون يعانون منها هب الفقهاء والعلماء لتحريض المسلمين في بلاد الشام من أجل المشاركة في جهاد الصليبيين بدمياط. وكان في مقدمتهم الفقيه سبط ابن الجوزي الذي يحكي في كتابه (مرآة الزمان) كيف قام بهذه المهمة في بلاد الشام[85].

وأخيراً اقتنع بلاجيوس المندوب البابوي بأنه لا سبيل أمام الصليبيين غير طلب الصلح من الملك الكامل، فراسله هو وأخويه الملك الأشرف والملك المعظم موضحاً أن الصليبيين يطلبون الأمان لأنفسهم ليسلموا إليهم

(84) Eracles: Op. Cit., p. 364, cf. also: Grousset: Op. Cit., t. II, p. 228, Setton: Op. Cit., t. II, p. 409.

راجع أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 284 ـ 287، سعيد عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص 976.

(85) انظر ما سبق، ص 231 ـ 233 من هذا البحث، راجع أيضاً: سبط ابن الجوزي: المصدر السابق، ج 8، ص 397، أبو شامة: الذيل، ص 117، المقريزي: المصدر السابق، ج 1، ص 202، الحنبلي: المصدر السابق، ص 305.

دمياط من غير عوض[86]. وبعد مشاورة الملك الكامل مع أهله ملوك البيت الأيوبي استقر الرأي على إجابة الصليبيين لطلب الأمان، وخرجوا من مصر بعد أن تسلم المسلمون دمياط[87]، وقد عزى بعض المؤرخين اللاتين هذا الفشل إلى شخصية المندوب البابوي بلاجيوس، المتغطرسة بلا مرونة وبلا حكمة في إدارة دفة الأحداث. وتهيئة أسباب النجاح[88].

وكان رد الفعل الإسلامي عظيماً إزاء هذه النتيجة التي أسفرت عنها الحملة الصليبية الخامسة، فكانت فرحة المسلمين عظيمة بعودة دمياط إليهم، خاصة الفقهاء والعلماء الذين أخذوا يتبارون في إنشاد قصائد التهاني بهذا النصر الكبير، معبرين فيها عن مدى فرحتهم ومدى إحساسهم بأهمية عودة دمياط إلى المسلمين[89].

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن رجال الدين المسيحي يتفاوتون في تفكيرهم، فيعمل البعض منهم لصالح المسيحيين وقضيتهم في الحفاظ على ممتلكات الصليبيين في بلاد الشام، بينما نرى البعض الآخر منهم ـ أمثال بلاجيوس ـ يتعنتون ويكابرون ولو على حساب المصالح الصليبية حتى يؤكدوا لمرافقيهم من الأمراء والقادة والملوك بأن لهم فقط السيطرة والكلمة العليا. هذا في الوقت الذي لا نجد فيه مثل هذه الأمور عند فقهاء وعلماء

---

(86) ابن واصل: المصدر السابق، ج 4، ص 97، المقريزي: المصدر السابق، ج 1، ص 208، المقريزي: المصدر السابق، ج 1، ص 208، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 6، ص 241 ـ 242، انظر أيضاً:

Setton: Op. Cit., t. II, pp. 425-427.

(87) ابن واصل: المصدر السابق، ج 4، ص 97 ـ 98، أبو الفدا: المصدر السابق، ج 3، ص 308، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 6، ص 242 ـ 243، انظر أيضاً:

Oliver of Paderborn: Op. Cit., pp. 131-132. Roger of Wendover: Op. Cit., t. II, pp. 142-145. Setton: Op. Cit., t. II, pp. 427-428.

(88) Philip de Novare: Op. Cit., p. 23.

انظر أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 300 ـ 301.

(89) انظر ما سبق تفصيله: ص 240 ـ 242 من هذا البحث.

المسلمين، فإنهم جميعاً ـ في كل زمان ومكان ـ يعملون خدمة للمسلمين ورفع شأن الإسلام دون النظر إلى كبريائهم وتعصبهم لرأي خاطئ دون آخر صحيح.

ولقد أثار الفشل الذريع الذي منيت به الحملة الصليبية الخامسة ثائرة البابا هونوريوس الثالث، وأخذ يدعو من جديد هو وخليفته البابا جريجوري التاسع للقيام بحملة صليبية كبرى لتعويض تلك الخسارة التي خسرها الصليبيون. وعهد إلى الأمبراطور فردريك الثاني أمبراطور الدولة الرومانية وملك الصقليتين بأمر قيادة هذه الحملة والتي عرفت بالحملة الصليبية السادسة[90] ولكنه أخذ يماطل في خروج الحملة، حتى أوقع البابا عليه قرار الحرمان[91]. فاضطر فردريك أن يخرج إلى الشرق في سنة 626هـ/ 1228م. وهكذا يتضح لنا مدى قوة وسطوة البابوية وتأثيرها في خروج الحملة الصليبية السادسة.

وجدير بالذكر أن الكثير من المصادر العربية وبعض المصادر اللاتينية

---

(90) كان فردريك الثاني قد أقسم في سنة 612هـ/ 1215م للبابا أنوسنت الثالث بأنه سيقود الحملة الصليبية إلى الشرق ولكنه تأخر ولم يف بوعده وخرجت الحملة الصليبية الخامسة بدونه ولم يلحق بها وقدم اعتذارات كثيرة للبابا وكان البابا يقبلها مقتنعاً بأن سبب تأخير فردريك الثاني هو توطيده لمركزه في بلاده. فلما فشلت الحملة الخامسة أراد البابا هونوريوس الثالث أن يوجد الدافع لدى فردريك الثاني للقيام بالحملة الصليبية التي وعد بها إلى الشرق، لهذا خطط البابا لزواج إيزابيلا ابنة حنا دي بريين ووريثة عرش المملكة الصليبية بالشام من فردريك الثاني، اشترط البابا أن يتم الزواج في الشام حتى يجبر الأمبراطور فردريك على الرحيل بجيوشه إلى الشام. ونفذ الأمبراطور رغبة البابا الخاصة بالزواج من إيزابيلا، ولكنه بدلاً من أن يذهب إلى الشام ليتم الزواج فيه، استدعى عروسه ووالدها حنا دي بريين إلى صقلية وتم الزواج في صقلية في سنة 622هـ/ نوفمبر 1225م، وأصبح ملكاً على مملكة بيت المقدس باعتبار ذلك حقاً من حقوق زوجته. انظر:
Philip de Novare: Op. Cit., pp. 21-23.

راجع أيضاً: أرنست باركر: المرجع السابق، ص 112، رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 305 ـ 313.

(91) Ernoul: Op. Cit., p. 457, cf. also, Roger of Wendover: Op. Cit., p. 150, Jean Richard: Op. Cit., p. 232.

المعاصرة للفترة موضوع البحث أوضحت أن الباعث والمحرض على خروج هذه الحملة لم يكن قرار الحرمان الذي أصدره البابا ولكن هذا المحرض إنما أتى من مصر، وبالتحديد من الملك الكامل محمد بن العادل الذي أرسل الفقيه يوسف بن شيخ الشيوخ مندوباً عنه إلى الأمبراطور فردريك الثاني يطلب منه القدوم إلى الشام لمساندته ومعاضدته ضد أخيه الملك المعظم عيسى وحلفائه الخوارزمية، في مقابل أن يسلمه الملك الكامل بيت المقدس وجميع فتوحات صلاح الدين بالساحل[92].

وقد حدث تطور خطير في موقف البابوية، ذلك أن البابا جريجوري التاسع قام بعمل ليس له نظير في تاريخ البابوية والحروب الصليبية لا من قبل ولا من بعد، فيذكر فيليب النافاري أن «البابا كتب إلى السلطان الكامل مباشرة داعياً إياه إلى عدم تقديم أي تنازلات لفردريك وعدم تسليم بيت المقدس إليه»[93].

وللمرة الثانية يتخذ البابا جريجوري التاسع موقفاً متشدداً ضد الأمبراطور فردريك الثاني. ففي هذا الوقت العصيب بالنسبة للأمبراطور وصلته الأخبار تفيد بأن البابا قد أصدر ضده قرار الحرمان للمرة الثانية، وأنه قد أباح لرعاياه الاعتداء على ممتلكاته، وأشاع في الغرب أن الأمبراطور

---

(92) ابن واصل: المصدر السابق، ج 4، ص 206 ـ 208 وص 233 ـ 234، أبو الفدا: المصدر السابق، ج 3، ص 137 ـ 138، ابن الوردي، المصدر السابق، ج 2، ص 219، المقريزي: المصدر السابق، ج 1، ص 221 ـ 223، انظر أيضاً:

Roger of Wendover: Op. Cit., p. 150, Cit, Philip de Novare: Op. Cit., p. 26-27, Jean Richard: Op. Cit., p. 232, Setton: Op. Cit., t. II, p. 449, Grousset: Op. Cit., t. III, p. 306-307.

راجع أيضاً ما سبق ص 242 وما بعدها من هذا البحث.

(93) ولمعرفة الأسباب التي دعت البابا إلى القيام بهذا العمل، انظر:

Philip de Novare: Op. Cit., pp. 34-35. Chronique de Richard de Saint-Germain: Op. Cit., t. I, pp. 583-586, Riley-Smith: Op. Cit., pp. 31-32.

راجع أيضاً: سعيد عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج 1، ص 402 ـ 414.

مات ومن ثم أصبح للبابا الحق في الوصاية على الأمبراطورية، لهذا كان موقف الأمبراطور في غاية الحرج، فهو يريد العودة سريعاً إلى بلاده للمحافظة على ممتلكاته، وفي الوقت نفسه يصر على ألا يعود بدون أن يحرز نجاحاً ملموساً بشأن بيت المقدس(94).

وقد أثارت اتفاقية يافا ردود فعل عنيفة في الجانب الإسلامي والمسيحي على حد سواء. ففي الجانب الإسلامي أدت هذه المعاهدة إلى حالة شديدة من السخط والحزن والأسى عند المسلمين في العالم الإسلامي كله في ذلك الوقت، خاصة عند فقهاء وعلماء المسلمين بوجه خاص(95).

أما بالنسبة لموقف المؤرخين اللاتين في هذا الصدد فتتضح في كتاباتهم أن هذه المعاهدة قوبلت بانتقادات كثيرة من المسيحيين، ولم يظهروا أي امتنان لما اكتسبوه منها، بل ولم يحسنوا تقييم الفرص التي أتيحت لهم بموجبها، والتي لم يكن لهم أن يحصلوا عليها بأي وسيلة أخرى، أنهم اعتبروا شروطها التي وقع عليها الأمبراطور فردريك إنما هي تسوية فخرية واستسلام مهين، كما أن الكنيسة اعتبرت هذه المعاهدة اتفاقاً شخصياً لفردريك وأنه لم يهدف من وراءها مصلحة الكنيسة أو رجال الدين، لهذا كان هؤلاء أول من اعترض على هذه المعاهدة(96).

ويعقب المؤرخ الإنجليزي ريلي سميث على هذه المعاهدة قائلاً:

---

(94) ابن واصل: المصدر السابق، ج 4، ص 241، راجع أيضاً: سعيد عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص 1007 ـ 1009، راجع أيضاً:

Philip de Novare: Op. Cit., p. 35, Stevenson: Op. Cit, p. 311, Setton: Op. Cit., Vol. 2, p. 454.

(95) انظر ما سبق ص 248 ـ 253 من هذا البحث.

(96) Philip de Novare: Op. Cit., pp. 35-37, Ernoul: Op. Cit., pp. 464-465, Eracles: Op. Cit., pp. 370-374.

راجع أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 332 ـ 333، أرنست باركر: المرجع السابق، ص 113 ـ 114.

«إن هذه الطريقة الجديدة للحملات الصليبية في تحقيق أهدافها كانت بلا شك صدمة كبيرة لقطاع لا يستهان به من الفكر المسيحي.. في الوقت الذي أتاح فيه أسباباً للعداء على المدى البعيد، ذلك لأن الاتفاق قد تضمن موافقة الأمبراطور على أن تبقى «قبة الصخرة» و«المسجد الأقصى» في أيدي المسلمين.. كما أخذ عليه أيضاً أنه لم يحقق اتفاقاً أو ترتيبات مرضية حول إعادة بناء دفاعات وتحصينات المدينة[97]، ويذكر كذلك المؤرخ اللاتيني فيليب دي نوفار أن البطريرك جيرولد أعرب عن رفضه الاتفاقية من وجهة النظر المسيحية لأن بيت المقدس لم يسترد بالسلاح، وأن هذه الاتفاقية سمحت للمسلمين بممارسة شعائرهم الدينية في القدس، كذلك لأن التزام فردريك بعدم السماح بأي حملة صليبية ضد السلطان، اعتبره البطريرك جيرولد ضد مصلحة رجال الدين والمسيحية. ولذلك حذر مسيحيي المدينة المقدسة بفرض قرار الحرمان عليهم إذا استقبلوا الأمبراطور المحروم، ولذلك عندما وصل الأمبراطور فردريك الثاني إلى القدس بعد إتمام المعاهدة، رفض الكثيرون من المسيحيين الوطنيين وكبار رجال القدس أن يرافقوه إلى المدينة. وتركوها وتوجهوا إلى عكا تنفيذاً لأوامر البطريرك جيرولد[98]، كما ظهرت قوة جيرولد بطريرك بيت المقدس وهيبته أثناء وجود الأمبراطور فردريك الثاني في كنيسة القيامة بالقدس. فرفض رجال الكنيسة أن يتوجوه خشية من عقاب البطريرك جيرولد، لذلك تناول الأمبراطور التاج من مذبح كنيسة القيامة وتوج نفسه بيده، ثم عاد بعد ذلك إلى يافا ومنها إلى عكا، ثم رحل عائداً إلى بلاده[99].

---

(97) Riley-Smith: Op. Cit., pp. 31-32.

(98) Philip de Novare: Op. Cit., p. 38, Stevenson: Op. Cit., p. 314, King: Op. Cit., pp. 207-208.

راجع أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 332، أرنست باركر: المرجع السابق، ص 114.

(99) Philip de Novare: Op. Cit., pp. 38-40, Ernoul: Op. Cit., pp. 465-466, Eracles: Op. Cit., pp. 374-376, cf. also: Stevenson: Op. Cit., p. 314.

وهكذا انتهت الحملة الصليبية السادسة بعد أن حققت ما لم تحققه الحملات الصليبية الأخرى، فاسترد الفرنج القدس من المسلمين بدون حرب.

وقد اتضح لنا مما سبق أن رجال الدين المسيحي كان شأنهم مثل الفقهاء والعلماء المسلمين يمتلكون حق توجيه الانتقادات إلى قادتهم ورؤساء دولهم طالما كان ذلك في صالح بلادهم أولاً وقبل كل شيء. على أية حال بالرغم من الاستفادة التي عادت على الصليبيين من استيلائهم على بيت المقدس لم تصرف البابوية نظرها عن ضرورة غزو مصر للقضاء على القوة الرئيسية المعادية للصليبيين في الشرق، لهذا أخذت تدعو بكل الوسائل إلى تجميع القوى الأوروبية في جهد جدي للقيام بحملة صليبية هدفها الأول مصر[100]. هذا في الوقت الذي دب فيه الخلاف والنزاع بين أبناء البيت الأيوبي[101]، وأخذوا يستعينون بعناصر أجنبية لمساعدتهم ضد بعضهم البعض فاستعان الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والناصر داود صاحب الكرك، والمنصور إبراهيم صاحب حمص بالصليبيين ضد سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب مقابل أن يتسلموا مملكة بيت المقدس تامة بما فيها الحرم الشريف والمسجد الأقصى وقبة الصخرة، وهي الأماكن التي تقع تحت سيطرة المسلمين الاسمية بمقتضى اتفاقية يافا سنة 627هـ/ 1227م، والتي تمت بين الملك الكامل محمد والأمبراطور فردريك الثاني، بينما لجأ الصالح نجم الدين أيوب إلى محالفة الخوارزمية[102].

---

(100) Eracles: Op. Cit., pp. 413-414, Grousset: Op. Cit., t. III, p. 372.

(101) لمزيد من التفاصيل عن النزاع الذي تم بين أبناء البيت الأيوبي انظر: ابن واصل: المصدر السابق، ج 3، ص 62 ـ 67، ابن الأثير: المصدر السابق، ج 10، ص 268 وما بعدها، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 6، ص 116.

(102) Eracles: Op. Cit., p. 418, Matthew Paris: Op. Cit., t. 1, p. 497, King: Op. Cit., p. 209, pp. 220-221.

انظر أيضاً: أبو الفدا: المصدر السابق، ج 3، ص 169، المقريزي: المصدر السابق، ج 1، ص 295 ـ 303، ابن تغرى بردى: المصدر السابق، ج 6، ص 321 ـ 322.

وقد قام الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق بتسليم الصليبيين القدس وطبرية وعسقلان، وقلعة شقيف أرنون وأعمالها، وقلعة صفد وبلادها ليبرهن للصليبيين عن حسن النوايا تجاههم[103]. وإزاء هذا التصرف الغريب من الصالح إسماعيل وتفريطه في حق الإسلام والمسلمين، قاد الفقهاء والعلماء حملة تشنيع ضارية ضده، ونددوا بما فعله[104].

ولكن لم تبق بيت المقدس في أيدي الصليبيين طويلاً إذ سرعان ما استعادها الخوارزمية منهم وخاضوا معركة شرسة ضد القوات الصليبية في غزة عام 642هـ/ 1244م وانتصروا عليهم انتصاراً رائعاً مما أحدث دوياً هائلاً في الغرب الأوروبي فقامت البابوية على الفور بالتبشير للحملة الصليبية السابعة في مجمع ليون بفرنسا عام 643هـ/ 1245م[105]، لاسترداد بيت المقدس، وتأديب المسلمين والثأر منهم وبعث القوة الصليبية في الشرق من جديد. ولأن البابا أنوسنت الرابع قد أصدر المراسيم البابوية لحض الناس على الاشتراك في الحملة الصليبية، ووعد كل من يشارك في الحرب في سبيل الأراضي المقدسة، بالغفران التام عن خطاياه، والتكفير عن آثامه وذنوبه بمجرد انضمامه إلى صفوف هذه الحملة الصليبية[106].

فاستعد الصليبيون وخرجوا بقيادة القديس لويس التاسع ناحية الشرق. ووصلوا إلى الشواطىء المصرية، وحاصروا دمياط في صفر 647هـ/ يونيو 1249م وقامت معارك ضارية بين الطرفين تولى فيها الفقيه فخر الدين يوسف

---

(103) أبو شامة: المصدر السابق، ص 170، ابن واصل: المصدر السابق، ج 5، ص 301 ـ 302، أبو الفدا: المصدر السابق: ج 3، ص 169، ابن كثير: المصدر السابق: ج 13، ص 166، انظر أيضاً: رانسيمان: المرجع السابق، ج 3، ص 377 ـ 378.

(104) عن موقف العلماء والفقهاء من الصالح إسماعيل انظر ما سبق ص 261 ـ 265 من هذا البحث.

(105) روثلان: المصدر السابق، ص 135 ـ 136، جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، الإسكندرية 1969م، ص 49 ـ 56.

(106) روثلان: المصدر السابق، ص 139 ـ 140، جوانفيل: المصدر السابق، ص 95 ـ 99.

مهمة مقاومة الصليبيين في نفس الوقت أخذ يحض الناس على الجهاد[107]. فهجم عليهم المسلمون من كل جانب داخل المدينة وهزموهم هزيمة ساحقة. وإذا انتقلنا إلى جبهة القتال الصليبي نجد أن رجال الدين المسيحي كانوا يحاربون بالسلاح في هذه المعركة، فيذكر جوانفيل أن أحد قساوسة كتيبته العسكرية، ويدعى جون لورد فوازيه ـ Voisey ـ ذهب وحده من المعسكر الصليبي وتوجه نحو المسلمين مسلحاً بسترة مبطنة حول وسطه، وعلى رأسه طاقيته من الحديد، وتحت ذراعه حربته، ورأسها إلى أسفل، حتى لا يراها المسلمون، وعندما اقترب هذا القسيس من المسلمين لم يلتفتوا إليه، لأنهم رأوه بمفرده، استل القسيس حربته من تحت ذراعه، وهجم عليهم، ولم يحاول أحد من أمراء المسلمين الثمانية ـ الذين كانوا يرمون قذائفهم على معسكرنا الصليبي ـ أن يقف في وجهه، بل استداروا وأخذوا في الهرب.. وعندئذ صار هذا القسيس معروفاً في المعسكر، وأشار إليه الجند بعضهم إلى بعض قائلين: ها هو قسيس السيد جوانفيل، وهو الذي هزم ثمانية من المسلمين وحده[108].

وقد استمرت المعارك الحربية بين الطرفين حتى انتهت بانتصار المسلمين ووقوع الملك لويس في الأسر، ثم إبرام معاهدة صلح بين الصليبيين والمسلمين أطلق بموجبها سراح الملك الفرنسي وانسحاب القوات الصليبية نهائياً من البلاد المصرية. وجدير بالذكر أن المصادر الأوروبية لم تسعفنا بقدر وافٍ عن أدوار مختلفة لرجال الدين المسيحي في الصراع الإسلامي الصليبي أثناء الحملة الصليبية السابعة غير ما أشرنا إليه من قبل، ورغم ذلك فقد اتضح لنا أن رجال الدين المسيحي كان لهم دور كبير على مر تاريخ الحروب الصليبية سواء في الشرق أم بالغرب يتساوى مع ما كان يقوم به الفقهاء والعلماء المسلمون في جهادهم ضد الصليبيين.

---

(107) حول جهاد هذا الفقيه انظر ما سبق ص 265 ـ 267 من هذا البحث.

(108) جوانفيل: المصدر السابق، ص 128 ـ 129.

obeikandl.com

الخاتمة

بفضل من الله وتوفيقه انتهى موضوع البحث الذي قمت فيه بدراسة دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحروب الصليبية من سنة 489 ـ 690هـ/ 1095 ـ 1291م. وقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى عدة حقائق تاريخية، يأتي في مقدمتها أن الحكام والسلاطين المسلمين كانوا يعتمدون في حكمهم على دعامتين قويتين متعاونتين، وإن اختلفت طبيعة كل منهما عن الأخرى، الأولى كانت طبقة أمراء الأقطاع الذين يتركز فيهم النشاط الحربي العسكري وإدارة معظم شؤون الإقطاعات والولايات التي تحت أيديهم في ضوء السياسة العامة للدولة، وهؤلاء كانوا يمدون الخزانة العامة للدولة بالأموال التي يفرضها عليهم الحكام.

والثانية كانت طبقة العلماء والفقهاء، وهؤلاء كانوا الصفوة المختارة في الدولة، ولم يكونوا أقل أهمية من أمراء الإقطاع، ذلك أنهم بنفوذهم المباشر على العامة، ولثقة الرأي العام فيهم وتقديره لهم كانوا يستطيعون تعبئة القوى، وتجميع الصفوف لتأييد الحكام أو لمناهضة الأمراء وأولي الأمر الذين ينحرفون عن الطريق السوي في إدارة شؤون البلاد والعباد.

كما برهنت الدراسة كذلك على أنه لم يقتصر تأثير العلماء والفقهاء في استقرار الأمور أو في اضطرابها على تأثيرهم في الرأي العام، وإنما كان لبعض الشخصيات القوية منهم أثر مباشر في قوة الدولة والحاكم، وفي الحد من جبروت وظلم بعض السلاطين والأمراء. بالإضافة إلى ذلك كان لبعض

الشخصيات الفذة منهم ذات البصيرة النافذة أثرها في تولية بعض الحكام والسلاطين لشؤون البلاد، وبمرور الوقت شهد المعاصرون لهم، وشهد التاريخ بصدق بصيرتهم وبحسن اختيارهم لهؤلاء الحكام والسلاطين. مثال ذلك ترشيح القاضي بهاء الدين الشهرزوري وصلاح الدين محمد الياغيسياني لعماد الدين زنكي لتولي أمر الموصل والبلاد التابعة لها، وذلك لأنهما استشعرا فيه القوة والشجاعة، وأنه يستطيع التحكم في الأمور والذب عن البلاد وحماية حوزتها أمام أخطار الصليبيين. كذلك دور القاضي الفقيه الأمير عيسى الهكاري في تثبيت منصب الوزارة لصلاح الدين في مصر بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه. وفي ذلك يذكر ابن خلكان فضل عيسى الهكاري في هذا الشأن فيقول: ولما توفى أسد الدين اتفق الفقيه عيسى المذكور والطواشي بهاء الدين قراقوش على ترتيب السلطان صلاح الدين موضعه في الوزارة، ودققا الحيلة في ذلك حتى بلغا المقصود.

كذلك أثبتت لنا هذه الدراسة أن العلماء والفقهاء قاموا بنصيب كبير في خدمة الدولة في الميدان الإداري والسياسي، مثل القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني وبهاء الدين ابن شداد، الذين ساسوا البلاد لصلاح الدين وتولوا أهم المناصب الحكومية في عهده، حتى كان القاضي الفاضل اليد اليمنى لصلاح الدين في ميادين السياسة والحرب والاقتصاد والإدارة، بل كان مستشاره الأول حتى في شؤونه العائلية الخاصة، فقد لازمه في أفراحه وأتراحه. ولم يقصر العلماء والفقهاء جهودهم على ميادين العلم والدين فقط، بل أكدوا نفوذهم في الحرب أيضاً فكان منهم من يقود الجيوش مثل الفقيه عيسى الهكاري الذي قاد قلب الجيش لصلاح الدين في الوقعة الكبرى على عكا زمن الحملة الصليبية الثالثة. ومثل العالم الفقيه معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ، الذي جمع بين البراعة في العلم والأدب والتفوق في مختلف فنون الحرب والقتال والحنكة السياسية، فهو الذي خرج من مصر على رأس الجيش المصري بتكليف من الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 641هـ/ 1243م ليستولي على دمشق من الصالح إسماعيل. فكان معين الدين

حسن قائداً لهذا الجيش ولجيش الخوارزمية الذي انضم إليه لمساعدته لتحقيق هذا الغرض، واستطاع معين الدين العالم الفقيه أن يستولي على دمشق ويعيدها إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب وكذلك الفقيه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ الذي قاد الجيش الأيوبي في معركة المنصورة سنة 647هـ/ 1249م ضد الملك لويس التاسع قائد الحملة الصليبية السابعة.

واتضحت لنا أيضاً حقيقة أخرى من خلال هذه الدراسة وهي أن هؤلاء الصفوة المختارة من العلماء والفقهاء كانوا دائماً أحرص الناس على توحيد الجبهة الإسلامية وتماسك قواها، وحتى تستطيع المضي بصلابة وقوة في طريق الجهاد ضد الصليبيين، لذلك كانوا هم أول من يسارع لفض المنازعات والخلافات التي كثيراً ما كانت تقع بين بعض الحكام والأمراء المسلمين. وخير مثال لذلك ما أوردناه بشأن توسطهم الدائم في إصلاح ذات البين ومحو الخلافات التي نشأت في الأسرة الأيوبية بعد وفاة السلطان صلاح الدين أولاً، ثم بعد وفاة أخيه السلطان العادل ثانياً. وكان الفقهاء والعلماء يتكبدون مشقة بالغة في سبيل فض هذه المنازعات، وحتى أن بعضهم كان يفقد حياته في سبيل هذا الهدف السامي وهو الحفاظ على وحدة تماسك الجبهة الإسلامية. ومن أمثلة هؤلاء، القاضي الفاضل وبهاء الدين بن شداد وسبط ابن الجوزي، والنجم البادرائي.

كما أثبتت هذه الدراسة أن مكانة الفقهاء والعلماء ونفوذهم قد أخذت تتزايد في العصر الأيوبي واستمرت في تزايدها حتى أصبحت السيطرة والتحكم لهم أيام المماليك. ومن مظاهر هذه السيطرة عندئذ أن كل رسالة سياسية كانت توجه إلى الفرنج أو إلى المغول كانت تشمل واحداً من العلماء على الأقل. كذلك كان نفوذ العلماء والفقهاء قوياً على السلاطين المماليك، فكانوا يقومون بدور الرقيب على تصرفات السلاطين، ويعطون بآرائهم في كافة الأمور، وكانت طاعة العامة لهم كبيرة، قد استنتجنا من ذلك أن سلاطين المماليك كانوا يخشون بأس هؤلاء العلماء والفقهاء لما لهم من تأثير

خطير في نفوس العامة، لذلك كانوا يحاولون دائماً ألا يتعسفوا مع الناس، سواء بأحكام أو بضرائب جديدة، فلقد كانوا يخشون أن يقوم هؤلاء العلماء والفقهاء بتأليب الناس ضدهم فيفقدون عروشهم. ويكفي لإثبات هذا أن تذكر العبارة التي قالها الظاهر بيبرس عندما توفي الشيخ عز الدين بن عبد السلام سنة 660هـ/ 1261م، ففي هذا اليوم قال بيبرس: «اليوم استقر ملكي لي، فلو أمر عزالدين في شأني الناس بما أراد لأطاعوه مبادرين».

ومن الحقائق التاريخية التي توصلت إليها الدراسة بخصوص الخلافتين العباسية والفاطمية. أولاً: أن الخلافة العباسية التي كانت تمثل رمز وحدة المسلمين السنيين في ذلك الوقت، كانت دائماً محط أنظار المسلمين في بلاد الشام والجزيرة، وكانت استغاثات المسلمين ببلاد الشام تتوجه إليها بصفة دائمة مطالبة بأن تعمل الخلافة على استرداد بيت المقدس من الصليبيين وإنقاذ المسلمين في بلاد الشام من المذابح التي تنتظرهم مثلما حدث في بيت المقدس غير أن الخلافة العباسية رغم ذلك، ورغم مكانتها الروحية لم تكن تملك من الإمكانات المادية والبشرية والعسكرية ما يجعلها تنفر إلى إنقاذ المسلمين وتحرير مقدساتهم. وكان كل ما تستطيع الخلافة عمله هو أن تنقل تلك الاستغاثات إلى السلاطين السلاجقة الذين يملكون الجيوش العسكرية. ورغم ذلك ظل المسلمون متمسكين بمركز الخلافة كرمز للشرعية. فعندما أسقط المغول بغداد سنة 656هـ/ 1258م، حرص الظاهر بيبرس على إحياء الخلافة العباسية مرة أخرى بالقاهرة، وذلك حتى يستمد منها الشرعية لحكمه، ولتكون الواجهة الشرعية لحكم سلاطين المماليك من بعده. ومع ذلك استمرت سلطة الخليفة العباسي إسمية فقط.

أما الحقيقة الثانية فهي تخص الخلافة الفاطمية الشيعية في مصر، فنجد أن هذه الخلافة وعلى رأسها الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، لم تفهم طبيعة الحركة الصليبية، شأنها في ذلك شأن بقية القوى الإسلامية، لهذا أقدم هذا الوزير على تكوين علاقات بينه وبين الصليبيين، فاتصل بهم محاولاً اقتسام

بلاد الشام معهم، ظناً منه في ذلك نكاية بالسلاجقة، في حين كان الأجدر والأصلح أن يتحالف مع السلاجقة في أنطاكية لصد الصليبيين، ولكن المنازعات والعصبيات منعته من ذلك، فتصرف هذا التصرف الخطأ. ولم تكتشف الخلافة الفاطمية حقيقة النوايا الصليبية إلا بعد فوات الأوان، وبعد أن تمكن الصليبيون من البلاد. لهذا فشلت الحملات الفاطمية التي أرسلها الأفضل لوقف الزحف الصليبي في بلاد الشام، بل استطاع الصليبيون بعد ذلك الاستيلاء على كل الممتلكات الفاطمية في الشام.

ونخلص من ذلك أن كلاً من الخلافتين العباسية والفاطمية لم تستوعب حقيقة الخطر الصليبي منذ بدايته ولم توليه الاهتمام الذي يستحقه، لهذا فإننا لم نجد عبر هذه الدراسة خطبة أو دعوة موجهة من الخلافة إلى جمهور المسلمين في كافة البلاد الإسلامية، لمواجهة الصليبيين والتصدي لهم. وهذا بطبيعة الحال تقصير بين من الخلافة بوصفها زعيمة العالم الإسلامي. في حين أن البابوية، زعيمة العالم المسيحي، كانت وراء الدعوة لكل حملة صليبية خرجت من غرب أوروبا بقصد التوجه إلى بلاد المسلمين، وذلك ابتداء من خطبة البابا أوربان الثاني في كليرمونت سنة 489هـ/ 1095م، والتي دعا فيها البابا أوربان إلى الحملة الصليبية الأولى، وحتى دعوة البابا أنوسنت الرابع في ليون 643هـ/ 1245م للحملة الصليبية السابعة. وقد استخلصنا هذا الحكم على الخلافتين من واقع دراستنا للمصادر العربية الإسمية المعاصرة، فإننا لم نعثر منها على دليل يدحض حكمنا هذا.

وبرهنت هذه الدراسة كذلك على أن الفقهاء والعلماء كان لهم تأثيرهم القوي في تكوين رأي عام قوي وضاغط، خاصة في الأوقات التي كان يظهر فيها جلياً تخاذل الحكام وأنانيتهم، وضيق أفقهم الذي ضيع البلاد وأذل العباد، فكان هؤلاء الفقهاء والعلماء يقفون فوق منابر المساجد يخطبون بالناس ويعظونهم ويحضونهم على الجهاد، موضحين لهم فضل الجهاد والمجاهدين، وكانوا يذكرونهم دائماً بفضل بيت المقدس أولى القبلتين

وثالث الحرمين الشريفين، من أجل أن يثيروا حماسهم للجهاد. وبالفعل نجح هؤلاء الصفوة المختارة في تكوين رأي عام لمواجهة هؤلاء الحكام، ونجحوا أيضاً في بلورة اتجاهات المقاومة العربية الإسلامية ضد الصليبيين حتى تحقق في النهاية طرد الصليبيين من بلاد الشام بعد صراع مرير استمر قرنين من الزمان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

obeikandl.com

In the name of Allah, Most Merciful Most Compassionate

History is more or less like a memory of a nation, in wich its great events, victories and even defeats are stored. Its hopes, ambitions and dreams for the present and the future as well are hence retrived. A nation that would not care for its history; reserve it well and hand it over from generation to generation, is cut off from its past, unable to manage its, present and consequently hitting at ambigions future. Accordingly we; the Moslem Arabs, who have been qualified by Good as «the best nation ever created», should wel preserve our history and study our successes and failures, so as to establish the solid bases for the present and the future as well.

As an Arab Moslem scholar and researcher on Islamic history, and through my readings in history references on the crusades, I found that the writings of the contemporary Moslem historians on the era of the crusades, though various and numerious have agreed with modern writings on the same era on bringing forth the heroics of the Moslem leaders in the holly wars against the crusaders. Since then there has been a flow of writings and refrences about these leaders and their heroic deeds. The more I read the more I feel that there has been injustice and remissness in the treatment of the role played by the Moslem scholars and Jurisprudents.

The banner of the holly war would comprise under its shade all groups who marshed forth looking forward to victory or martyrdom, in spite of all differences between the rich and poor, the young and the old, the noble and the modest, the male and the female. Accordingly, there would be no differentiation between the warior and the scholar. All were performing one task; the holly war; all in one and one in all. A person's job would integrate with or build on another person's work. As so they

set a striking example on how the Islamic faith would link and combine, not separate. All the different groups were oriented by obedience and togetherness. So they succeeded in achieving their goals, seeking God's pleasure.

That is why I inquired why was the role of the great leaders in the holly war against the crusaders has been well preserved and made promicnent in history, whereas the roles of other groups who participated in this holly war on equal feet and step by step were not similarly treated. Their roles disorganizedly occured in historical references. Names were not even mentioned. They were referred to as the Moselems Group, the Mojahedeen Group, the Volunteers Group, or the Jurisprudents Group.

I discovered, on investigating historical references, that the Moslem jurisprudents and scholars have played a very important and serious role in the life of the Moslem society during this period. They have actively participated in the Islamic holy war against the crusaders. This role was no less than that played by the leaders and chiefs whose remembrance has been well preserved in history.

On the basis of the previous argument, I chossed this as a topic for my research. I have entitled it as «The jurisprudents and scholars' role in the holly war against the crusaders during the crusades, in the Near East». In so doing I hope to fill a gap in the literature related to the heros of the Islamic holly wars against the crusaders. The Arabic library is in need of separate researches on the role of the jurispradents and scholars on these holly wars, their contributions, situations, news and deeds as regarding stirring the people's morale, enhancing unity in the Islamic society so as to establish a solid stong front to face the crusaders' challange. These researches would also throw light on the jurisprudents and scholars' activities in serving the cause of the Islamic holly war during the crusades as registered in the Arabic and foreign references. I also, intended, to collect in my study as many names as I would of those well famed jurisprudents and scholars who participated in these holly wars. I had in mind to deepen my insight in the study of these great characters to throw much light on the well known among them, and to reveal the anonymous, so as to issue forth their glorious situations in the holly wars. In so doing I am giving our generation and the coming generations a chance to appreciate the situations of these most eminent

characters who faught in the path of Allah and gave their best and selves to achieve the superme goals. The coming generations would be proud of these chracters for what they did. They were true to themselves and to their cause. Hopefully they would follow their steps.

For this reason, I attempted to conduct this study hoping to achieve my objective. That is to throw light on these jurisprudents and scholars to obtain the same respect and regards which the leaders and chiefs of the holly war have already been bestowed.

As for the method of research adopted in this study, I have conducted it on the bases of the chronological order of events. I have also considered the topical order. I tried to bring out the role played by the jurisprudents and scholars in the events of the holly wars according to the chronological order. This study comprises an introduction, five chapters and a conclusion. The introduction includes the significance of the study as regards the roles played by jurisprudents and scholars during this period of Islamic holly war against the crusaders, in consideration of their efforts, virtues and heroics in this field. Aslo, the introduction includes a simplified idea about the holly war, in Islam, as regards its concept and areas. Then there is an introduction of scholars and jurisprudents; the concepts of a scholar, a jurisprudent and a judge. The study introduction also includes a lay out and an analysis of the research resources.

The first chapter is entitled «The Islamic Jehad (Holly War) against the crusaders during the crusades movement». It begins with an overview of the state of the Islamic and Christian worlds before the first crusade campaign reached the East. In so doing I have explained the state of the Eurpean society before the call for the crusades. I also explained the state of the Islamic. Powers as regards their separation and disunity which attracted the attention of the crusaders who seized the opportunity to start their march on the area. I then have given an account of the first crusade compaign on «Sham» (the area which comprises Syria, Lebanon, Palistine and Jordan), the establishment the four crusade states, the reaction of the Fatemi and Abbasi caliphates concerning the holly war against the crusaders, and the weakness of the Abbasi caliphate, due to the Saljuki irresistable influence which resulted in the Abbasis' failure to perform the expected role; to lead the holly wars against the crusaders. I dealt with the situation of the Fatemi caliphate as regards the crusade

invasion, explaining that the Fatemis did not recognise the danger and intentions of the crusaders, at the begining. When the crusaders' intentions have been revealed the Fatemi minister «Al-Afdhal» tried to stop the crusade march on «Sham» by launching three campaigns which failed in doing so. Consequently the crasaders overran all the Fatemi terrotories in «Sham».

I threw light at the Jehad (contribution in the holly war) of the first leaders against the crusaders since their first landing on Sham and the end of the rule of the Zenki family (492-569H. 1-89-1174). I explained that the idea of Islamic Jehad has emerged of the area of «Jazerah» (The Island). So I dealt with the roles of Prince Karpogha the ruler of Mausel, Shams Ad-Din Jakramash of Mawsel, Sakman Ben Artak of Keiva, Sharaf Al-Dawla Maudoud of Mawsel, Nejem Ad-Din Eligazi and Eksiker.

Al-Borsuki. I also accounted for the role played by Bulk Ben Bahram Al-Artuki in the holly war. The role of Thahir Ed-Din Toghtekin, the ruler of Damascus has also been ligh-lighted. The roles of Emad Ed-Din Zenki and his son Nour Ed-Din Mahmoud in unifying the Islamic front before engaging in the war against the crusaders and in the actual combat and restoring the state of Al-Raha in 539H. -1144A.D., were discussed. I discussed the situation of Nour El-Din Mahmoud as regards the deteriorated situations of the Fatemis in Egypt and the compaigns which he sent to Egypt under the leadership of Asad Ed-Din Sherkouh and his nephew Salah Ed-Din Yousef Ben Ayoub. These compaigns resulted in the termination of the Fatemi caliphate in Egypt and the full control of Salah Ed-Din Al-ayoubi over Egypt.

In this chapter I gave an account of the Islamic holly war against the crusaders during the Ayoubi era; (569-648H. -1174-1250A.D.) In this respect I discussed the role of Salah Ed-Din in the holly war and his efforts in unifying the Islamic powers in Egypt and «Sham» into one front. After Salah Ed-Din, his brother Al-Adel Ayoub continued his efforts in the holly war. I discussed the role of king Mohamad Al-Kamel in fighting against the fifth crusade campaign in 615H. -1218A.D. on Damietta, and the sixth campaign led by the Emperor Fredrick the second in 625H. -1228A.D., when Jerusalim has been surrenderd to the crusaders according to the Yafah treaty in 627H. -1229A.D., have aslo discussed the efforts of Nejm El-Din Ayoub in the Islamic holly war

against the crusaders and his alliance with the Khwarizemis and the restoration of Jerusalim in 642H. -1244A.D. Also Nejm El-Din's efforts as regards the seventh compaign led by Louis the nineth, king of France in 645H. -1248A.D. were also discussed.

Then, I turned to the Islamic Jehad (holly war) during the era of the Sultans of «Mamlouks», until the end of the crusade movement in 642H. -1244A.D. In so doing I highlighted the efforts of the Sultans Thaher Beibers, Al-Mansour Qalawoon, and Al-Ashraf Khalili in fighting the crusaders until the fall of Akka, the last crusade base in «Sham» in 690H. -1291A.D.

The second chapter is entitled «The roles of the Jurisprudents and Scholars since the first crusade campaign on Sham until the battle of Hettin (491-583H. -1097-1186A.D.). I have discussed the rejection of the Moslem Jurisprudents and scholasrs of the crusade invasion, and their roles in stimulating people's enthusiasm to fight. I have discussed their situation as regards Antakia and Jerusalim. I have also talked about the jurisprudents and scholars who martyred in Jerusalim in 492H. -1098A.D., the reaction to the massacres in Jerusalem to Bagdad. I dealt with the Abbasi Capiph's reaction to the news of the massacres.

In this chapter, I also exposed the role of the Moslem jurisprudents and scholars in removing sources and reasons of dissension in the Salgouki family as a preliminary step towards Islamic unity. I then talked about the judge Fakhr El-Din Ben Ammar, judge of Trippolli and his efforts in the fight against the crusaders until the fall of Trippolli in their hands in 502H. -1108A.D. I dealt with the situation of the jurisprudents and scholars' situations and view points as regards the alliance of some Moslem rulers with the crusaders which had resulted in disturbance, confusion and disunity among Moslems.

I also have highlighted in this chapter some examples of the jurisprudents and scholrs' situations and efforts during this era, including the role of the judge of Seida in 504H. -1110A.D. in preventing the blood shed during the crusaders' siege of the city, the fall of the city and its effect on the jurisprudents, in Baghdad. I also talked about the role of one of the Sheikhs in Trippolli in the termination of the crusaders' siege of Sour in 505H. -111A.D. and the efforts of the judge Abou Al-Fadhl Al-Khashshab in Halab.

In this chapter I also discussed the viewpoints and situations of the jurisprudents and scholars as regards the cooperation between some Moslem rulers and the Ismaelia party. I accounted for the efforts and roles of the jurisprudents and scholars during the reign of Emad El-Din Zenki, Nour El-Din Mahmoud and Salah El-Din Al-Ayoubi until the battle of Hettein. This chapter is concluded with a study of the social recognition of situation and status of the jurisprudents and scholars during the era of the reign of the Zenki family and Salah El-Din.

The third chapter is entitled «The efforts of the jurisprudents and scholars in the holly war against the crusaders until the termination of the crusade movement in 690H. -1291A.D. I, here, dealt with the participation of the jurisprudents and scholars in the holly war against the crusaders, after the battle of Hettein, in Akka and Jerusalim. I explained their efforts in Jerusalem after the restoration of the city, their support for Salah El-Din during the restoration ot the coastal cities from the crusaders and their roles in terminating the languidity in the holly war which occured after the restoration of Jerusalim. I also talked about their efforts during the siege of the crusaders for Akka on the third crusade compaign. I dealt with the relationship between the jurisprudents and scholars and the members if the Ayoubi family after the death of Salah El-Din and its effect on the holly war against the crusaders. I then dealt with their efforts as regards the fifth crusade campaign on Damietta in 615H. -1218A.D. I explained the situation of king Al-Kamel Mohamed as regards the sixth crusade compaign under the leadership of the German Emperor Fredrich the second. I accounted for the disapproval of the jurisprudents and scholars for king Al-Kamels' handing Jerusalim over the crusaders «The Emperor». I also dealt with the jurisprudents and scholars' roles in terminating disputes among the members of the ruling Ayoubi family in Egypt and Sham, and their efforts and reactions to the seventh crusade campaign led by king Louis the nineth, king of France in 645H. -1248A.D.

I then traced the jurisprudents and scholars' efforts against the crusaders during the «Mamlouki» era. In so doing I threw light on their role in the reconcilation among the leaders and chiefs of the Moslems in Egypt and Sham. I then exposed the dangers of the Mongolian presence in Sham to the jurisprudents and shcolers' holly war against the crusaders. I then talked about their participation in the campagins of

Sultan Thaher Beibers on the crusaders' castles in Sham. I then accounted for their jehad (holly war) during the reign of king Al-Mansour Qalawoun, and their role in the restoration of Akka and the rest of the crusade castles during the reign of Sultan Al-Ashraf Khalil Ben Qalawoun in 690H. -1291A.D.

The fourth and last chapter in this study is entitled «A comparison between the roles of the Moslem jurisprudents and scholars in the Islamic Near East, and the roles of the Christian clergymen in the European West in the crusades». In this chapter I studied the speech delivered by Pope Orban the second in the conference of Klerut in 488H. -1095A.D. and its effects on the christians who participated in the first crusade compaign. The Abbasi and Fatemi caliphates, as a result of the prevailign political cirumstances during this era, did not recognize how dangerous the crusades campaigns could be. All sects of the ordinary Moslems bravely defended their countries. The jurisprudents and scholards were among the defendents to encourgae Moslems to fight against the invaders. I also traced the efforts of Efreimar the Patriarch of Jerusalim in enhancing.

The christians of Jerusalim to help Buldwin the first to fight the third Fatemi campaign in 498H. -1105A.D. As a result, Buldwing and Efreimar's efforts proved to be successful and the crusaders won victory over the Fatemi troops and so put an end to the last attempt performed by the Fatemi caliphate to restore Palistine from the hands of the crusaders. I explained that in this respect I could not find in the writings of the contemporary Moslem historians any indications to the jurisperudents and scholars's roles in these events. I discussed the reasons.

I Then dealt with the situations of the christian clergymen as regards the second crusade campaign on the East in 543H. -1148A.D. I explained the role of Pope Euginius the third in this camaign and the role of St. Bernard in the call for launching this campaign. I then explained the efforts of the Moslem jurisprudents and scholars in fighting this campaign and their heroic deeds in the fight until the campaign was defeated and the crusade troops were withdawn to Europe.

I Studied the roles of the christian clergymen in the third crusade campaign (585-588H. -1189-1192A.D.) on Akka, especially the role of Pope Gregouri the eighth to establish reasons for the launching of this

campaign on to the East. I also explained the roles of Pope Clemint the third and Gosias the Archbishop of Sour in launching the third crusade campaign. I talked about the enthusiasm of the monks who left monastries to accompany the crusade troops to the East. I also talked about efforts of the Moslem jurisprudents and scholars in stirring the enthusiam of the Moslem fighters until the termination of this campaign with the agreement of Al-Ramla in 588H. -1192A.D.

I studied the situation of Balgoius, the Papal delegate as regards the developments of the fifth crusade campaign on Damietta in 615H. -1218A.D. and the Islamic reaction. I highilighted the Moslem jurisprudents and scholars' reactions to the massacres which the crusaders committed in Damietta during this campaign. I accounted for the efforts of Sabt Ben Al-Juzy in enhancing the Moslems in Sham to help their brotheren in Egypt, and his efforts in the reunion of the sons of king Al-Adel, and so they could defeat the crusaders in Damietta.

I dealt also in this chapter with the situation of the papacy as regards the efforts of Empror Fredrich the second in the sixth crusade sampaign in 625-626H. -1228-1229A.D. I accounted for the strong opposition of the christian clergymen on the one hard, and that of the Moslem jurisprudents and scholars, on the other, to the Yafa treaty between Empror Fredrich the second and king Al-Kamel Mohamad Ben Al-Adel in 627H. -1220A.D., on the bases of which, the king surrendered Jerusalim to the crusaders. I discussed the situation of the Papacy as regards the consequences of the campaign led by Fredrich the second. Then I pursued the jurisprudents and scholars' reaction to the surrender of Jerusalim to the crusaders. This chapter is concluded with a study of the role of St. Louis in the seventh crusade campaign on Mansoura in 646H. -1248A.D. and its effect on the Moslem Jurisprudents and scholars.

The study is concluded with the conclusions which I could drew from this research. At the end of this study there is a list of the Arabic, foreign, hand written, and printed resources on which I depended in the process of collecting the relevant historical data.

I pry God for help, thanks and praise be to God the Almighty, and Peace be upon Prophit Mohamad, the last of God'd Proghits.

شكل (1)

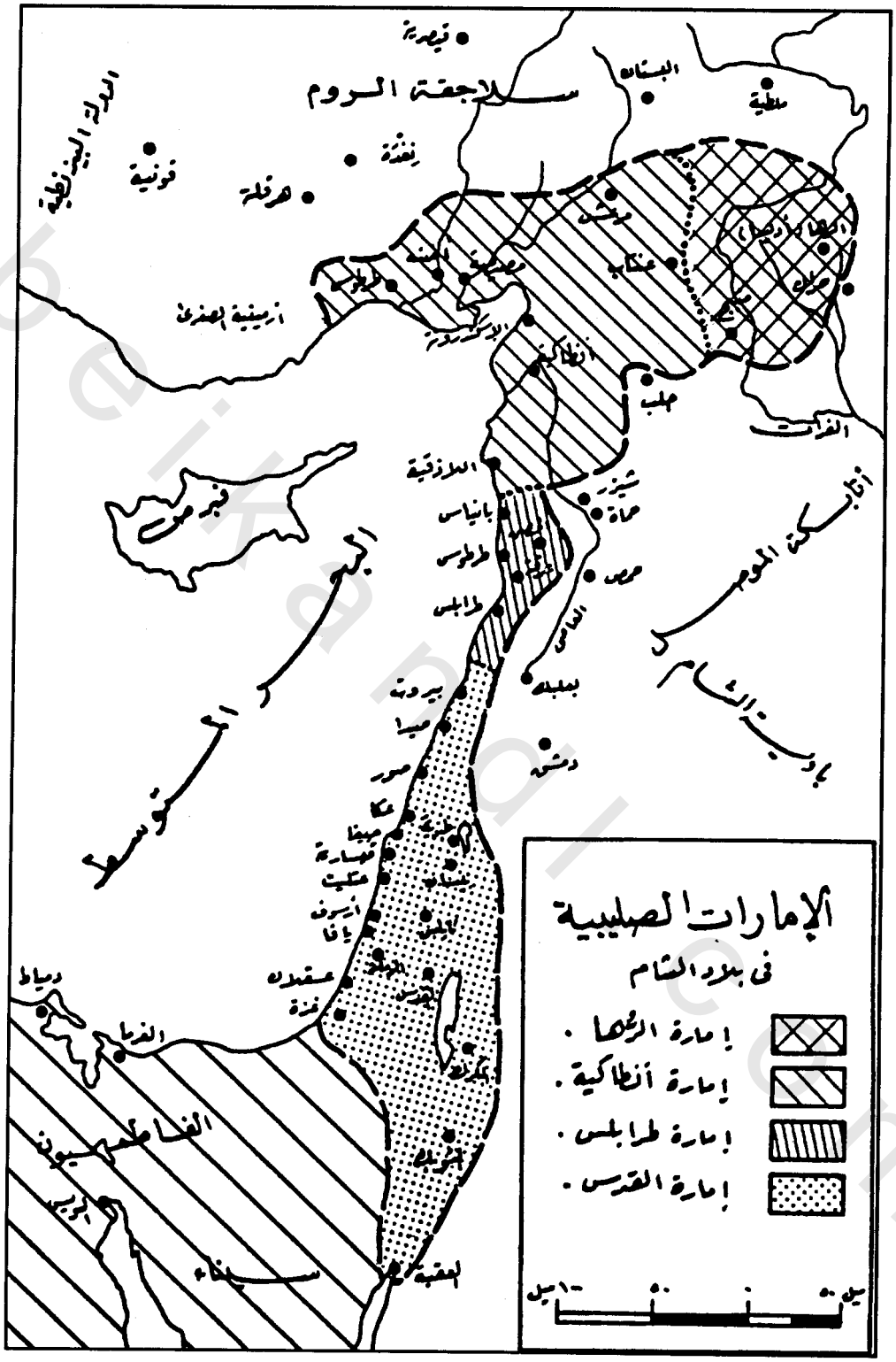

المصدر: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي، دار الفكر، دمشق، 1405هـ.

شكل (2)

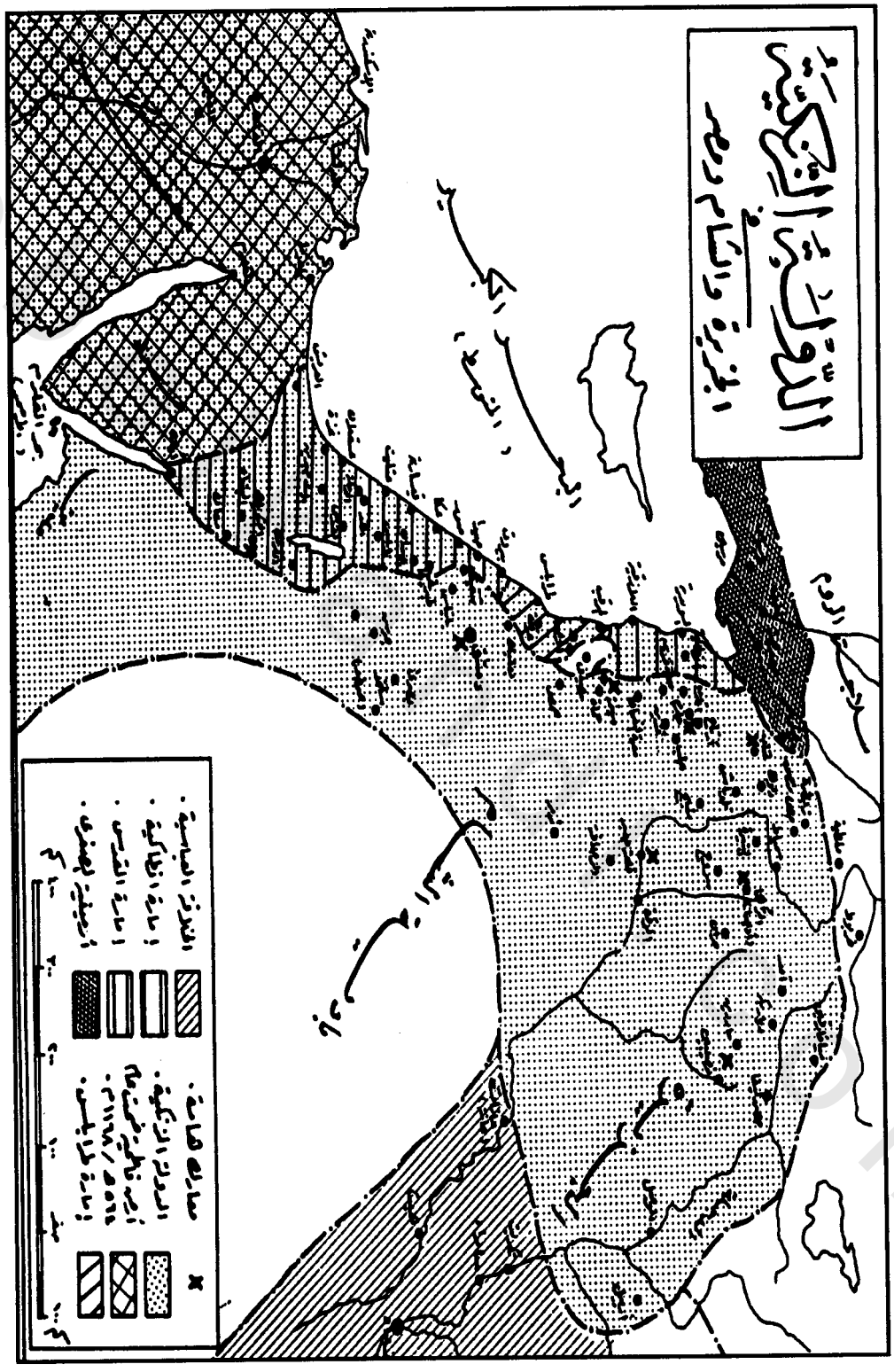

المصدر: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي، دار الفكر، دمشق، 1405هـ.

شكل (3)

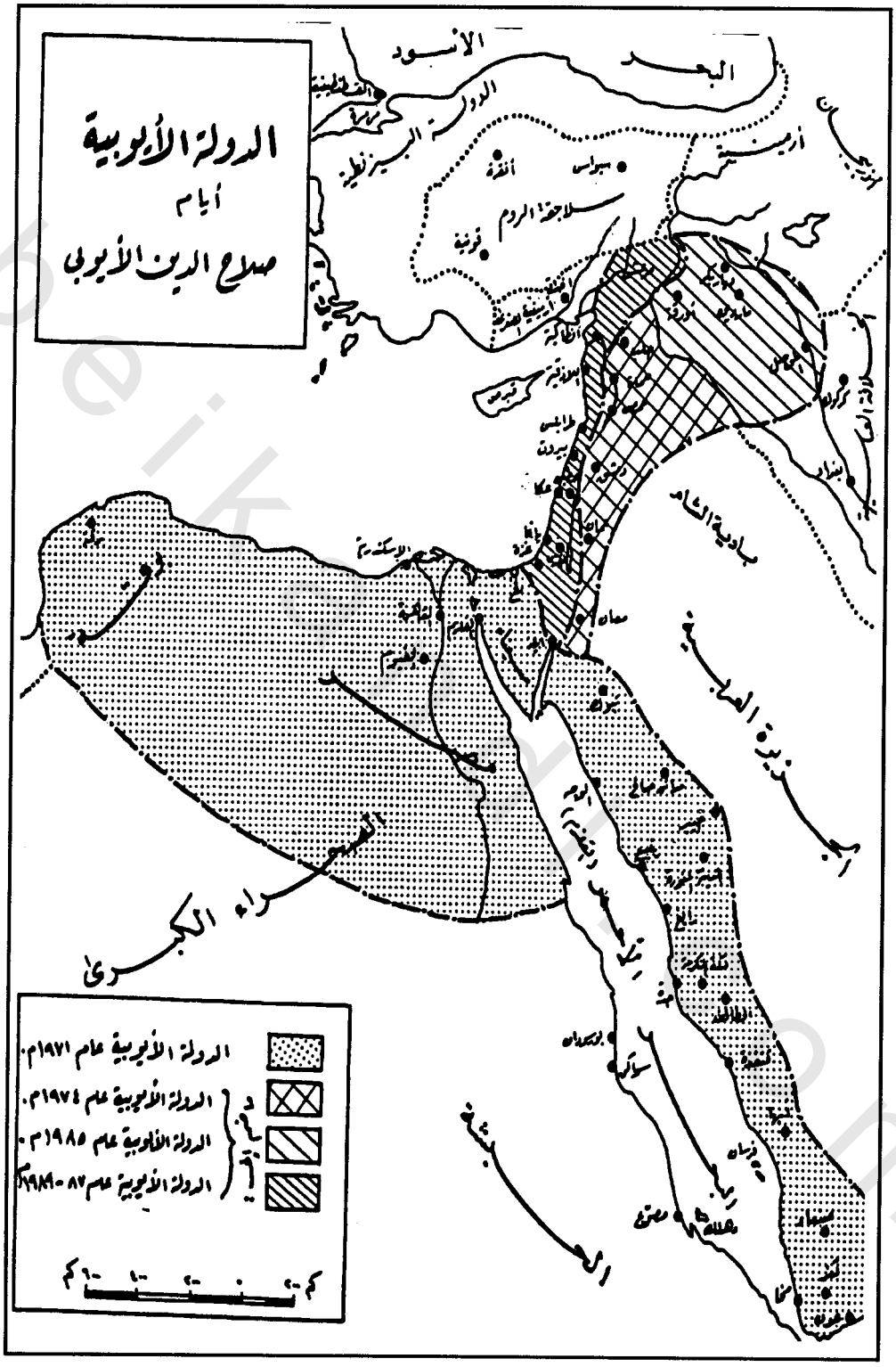

المصدر: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي، دار الفكر، دمشق، 1405هـ.

شكل (4)

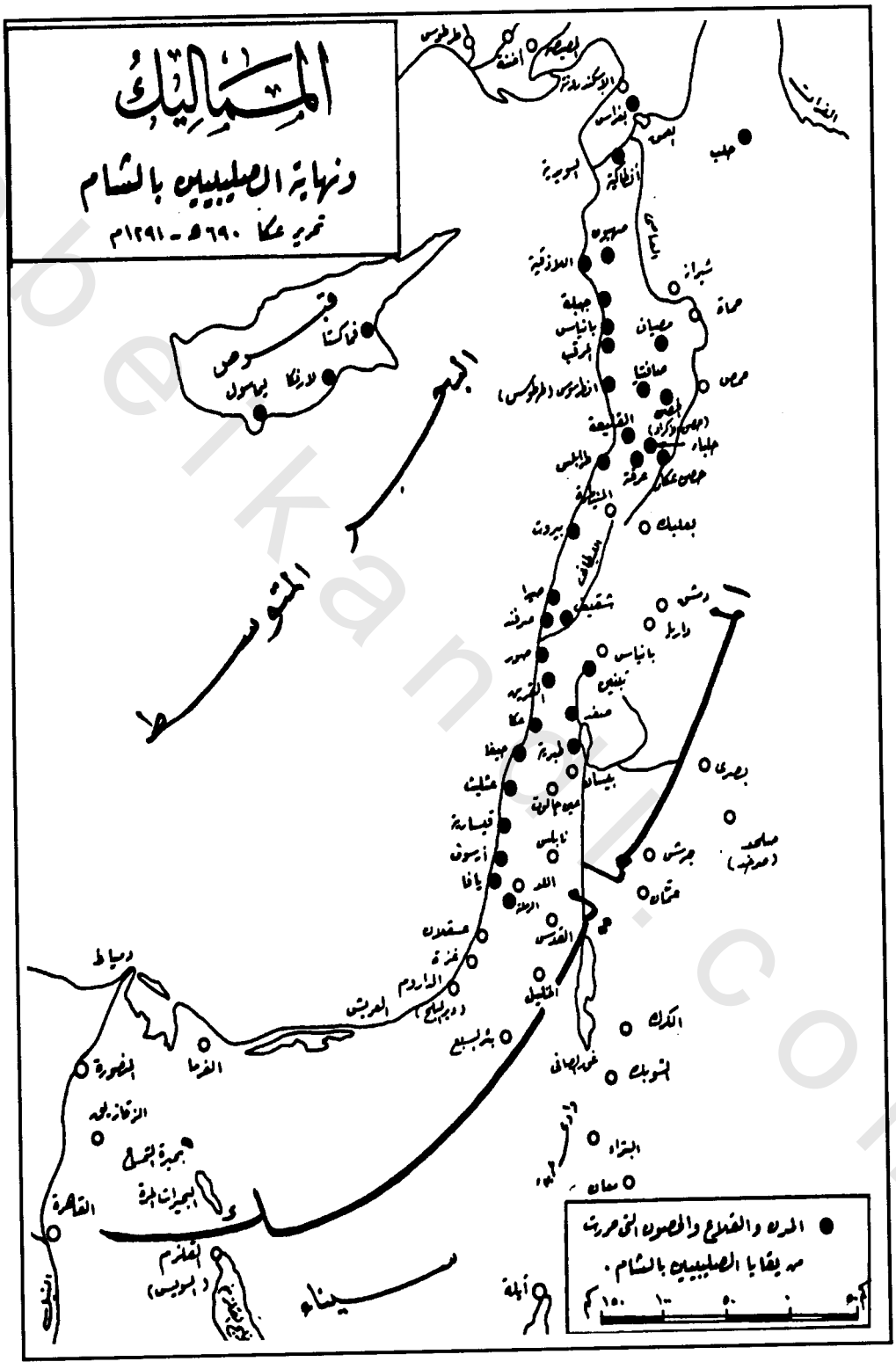

المصدر: شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي، دار الفكر، دمشق، 1405هـ.

قائمة المصادر والمراجع

- المخطوطات والمصورات العربية.
- المصادر العربية.
- المصادر الأوروبية.
- المراجع العربية والمعربة.
- المراجع الأوروبية.
- بيان بالمختصرات الأوروبية الوارد ذكرها في حواشي الرسالة.

obeikandl.com

obeikandl.com

أولاً: المخطوطات والمصورات العربية(*)

(1) **ابن أبي الدم الحموي**: ت 642هـ/ 1244م (أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله) «التاريخ المظفري».

مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ميكروفيلم رقم 966 تاريخ.

(2) **ابن بهادر**: ت 877هـ/ 1473م (أبو الفضل محمد بن محمد المؤمني، كمال الدين) «فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر».

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 4977 تاريخ، ميكروفيلم رقم 63546.

(3) **ابن تغرى بردى**: ت 874هـ/ 1469م (جمال الدين أبو المحاسن يوسف» «المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي»، 5 أجزاء.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1209 تاريخ تيمور.

(4) **ابن حبيب**: ت 779هـ/ 1377م (الحسن بن عمر) «درة الأسلاك في دولة الأتراك».

مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ـ تحت رقم 6170ح.

(*) أشرنا في حواشي الكتاب إلى المخطوطة بـ (ورقة) والمصورة بـ (لوحة) والمطبوع بـ (صفحة) تمييزاً لكل منهم.

(5) **ابن الشحند**: ت 815هـ/ 1404م (أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد) «روض المناظر في علم الأوائل والأواخر».

مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية، القاهرة تحت رقم 270.

(6) **ابن واصل**: ت 697هـ/ 1298م (جمال الدين محمد بن سالم) «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب»، الجزء الثاني.

مخطوط برقم 5319 تاريخ بدار الكتب المصرية، مصور على ميكروفيلم رقم 49713.

(7) **بيبرس الدوادار**: ت 725هـ/ 1324م (الأمير ركن الدين بن عبد الله المنصوري) «زبدة الفكر في تاريخ الهجرة»، الجزء التاسع.

مخطوط مصور بمكتبة جامعة القاهرة، تحت رقم 24028.

(8) **الذهبي**: ت 748هـ/ 1347م (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قايماز) «تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام»، الجزء التاسع.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 4774 تاريخ مصور على ميكروفيلم رقم 36394.

(9) **سبط ابن الجوزي**: ت 654هـ/ 1257م (أبو المظفر يوسف بن قز أوغلي) «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان»، الجزء الثامن.

مخطوط مصور بجامعة شيكاغو سنة 1907، ومنه نسخة مصورة طبق الأصل بدار الكتب المصرية تحت رقم 2181 تاريخ.

(10) **الصفدي**: ت 864هـ/ 1363م (صلاح الدين خليل بن أيبك) «تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والأمراء والنواب»، الجزء الثالث.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 2144 تاريخ طلعت، ومصور على ميكروفيلم رقم 13028.

(11) **العيني**: ت 855هـ/ 1451م (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى) «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، ج 19، ج 20.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 1584 تاريخ، مصور على ميكروفيلم برقم 19/ 35754 ـ 20/ 35840.

(12) **مؤلف مجهول**: «نزهة الناظر وراحة الخاطر».

مخطوط مصور على ميكروفيلم رقم 5/ 962، بمكتبة جامعة الملك سعود.

(13) **النويري**: ت 732هـ/ 1332م (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) «نهاية الأرب في فنون الأدب»، ج 25، ج 29.

مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم 549 معارف عامة، مصور على ميكروفيلم برقم 25/ 49729، 29/ 17924.

obeikandl.com

ثانياً: المصادر العربية

(1) **ابن أبي يعلى**: ت 526هـ/ 1132م (القاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى بن الفراء) «طبقات الحنابلة»، جزءان، بيروت بدون تاريخ.

(2) **ابن الأثير**: ت 630هـ/ 1232م (أبو الحسن بن أبي الكرم الجزري، عز الدين).

1 ـ «الكامل في التاريخ»، 10 أجزاء، بيروت 1987م.

2 ـ «التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية»، تحقيق عبد القادر طليمات، القاهرة 1963م.

(3) **ابن أياس**: ت 930هـ/ 1524م (محمد بن أحمد بن أياس الحنفي) «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، 5 أجزاء.

تحقيق محمد مصطفى، القاهرة 1982.

(4) **ابن أيبك الدوادار**: ت بعد سنة 736هـ/ 1235م (أبو بكر عبد الله) «كنز الدرر وجامع الغرر»، ج 6.

تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة 1961م، ج 8 تحقيق أولرخ هارمان، القاهرة 1971م.

(5) **ابن تغرى بردى**: ت 874هـ/ 1469م (جمال الدين أبو المحاسن يوسف).

1 ـ «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، 16 جزء، القاهرة 1972م.

2 ـ «المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي»، 5 أجزاء، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة 1984م.

3 ـ «الدليل الشافي على المنهل الصافي»، جزءان، تحقيق محمد فهيم شلتوت، القاهرة 1983م.

(6) **ابن تيمية**: ت 728هـ/ 1328م (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام) «الحسبة في الإسلام»، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (بدون تاريخ).

(7) **ابن حبيب**: ت 779هـ/ 1377م (الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب) «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه)، 3 أجزاء.

تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة 1976/ 1986م.

(8) **ابن حجر العسقلاني**: ت 852هـ/ 1448م (أحمد بن علي بن محمد) «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة».

تحقيق محمد سيد جاد الحق، القاهرة 1966م.

(9) **ابن خلكان**: ت 681هـ/ 1282م (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) «وفيات الأعيان وأنباء الزمان»، 8 أجزاء.

تحقيق إحسان عباس، بيروت 1972/ 1977م.

(10) **ابن دقماق**: ت 809هـ/ 1406م (صارم الدين إبراهيم بن أيدمر العلائي) «الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين»، جزءان.

تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، بيروت 1985م.

(11) **ابن رجب**: ت 795هـ/ 1392م (زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي) «كتاب الذيل على طبقات الحنابلة»، بيروت (بدون تاريخ).

(12) **ابن شاكر الكتبي**: ت 764هـ/ 1363م (محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن) «فوات الوفيات».

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1951م.

(13) **ابن شداد**: ت 632هـ/ 1234م (بهاء الدين يوسف بن رافع) «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»، القاهرة 1317هـ.

(14) **ابن شداد**: ت 684هـ/ 1285م (عز الدين بن أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي) «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة»، جزءان.

تحقيق سامي الدهان، دمشق 1962م.

(15) **ابن عبد الظاهر**: ت 692هـ/ 1292م (محي الدين أبو الفضل عبد الله).

1 ـ «تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور»، تحقيق مراد كامل، القاهرة 1961م.

2 ـ «الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر»، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض 1976م.

(16) **ابن العديم**: ت 660هـ/ 1262م (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله) «زبدة الحلب في تاريخ حلب»، 3 أجزاء.

تحقيق سامي الدهان، دمشق 1951/ 1968م.

(17) **ابن العماد الحنبلي**: ت 1089هـ/ 1683م (أبو الفلاح عبد الحي) «شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، 8 أجزاء، القاهرة 1350/ 1351هـ.

(18) **ابن الفرات**: ت 807هـ/ 1404م (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم) «تاريخ الدول والملوك» (تاريخ ابن الفرات)، ج 7.

تحقيق قسطنطين زريق، بيروت 1942م، وج 8 تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ـ بيروت 1939.

(19) **ابن قاضي شهبة**: ت 784هـ/ 1469م (بدر الدين محمد بن أبي بكر) «الكواكب الدرية في السيرة النورية».

تحقيق محمود زايد، بيروت 1971م.

(20) **ابن القلانسي**: ت 555هـ/ 1160م (أبو يعلى حمزة بن القلانسي) «ذيل تاريخ دمشق»، بيروت 1908م.

(21) **ابن كثير**: ت 774هـ/ 1372م (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر) «البداية والنهاية»، 14 جزءاً.

تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرون، بيروت 1987م.

(22) **ابن منظور**: ت 711هـ/ 1321م (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور) «لسان العرب»، بيروت 1955م.

(23) **ابن واصل**: ت 697هـ/ 1298م (جمال الدين محمد بن سالم) «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب»، 3 أجزاء، الأول تحقيق جمال الدين الشيال، حتى نهاية 615هـ، القاهرة 1953/ 1957م، جزءان 4 و5.

تحقيق حسنين محمد ربيع حتى نهاية سنة 645هـ، القاهرة 1972/ 1977م.

(24) **ابن الوردي**: ت 749هـ/ 1348م (زين الدين أبو حفص الدين عمر) «تتمة المختصر في أخبار البشر».

تحقيق أحمد رفعت البدراوي، بيروت 1970م.

(25) **أبو شامة**: ت 665هـ/ 1267م (شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي).

1 ـ «الروضين في أخبار الدولتين»، جزءان، بيروت 1974م.

2 ـ «تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين»، بيروت 1974م.

(26) **أبو الفدا**: ت 732هـ/ 1332م (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة) «المختصر في أخبار البشر»، 4 أجزاء، بيروت (بدون تاريخ).

(27) **أبو يعلى بن الفراء**: ت 458هـ/ 1065م (محمد بن الحسين الفراء الحنبلي) «الأحكام السلطانية»، تحقيق حامد الفقي، القاهرة 1938م.

(28) **الأدفوي**: ت 748هـ/ 1347م (أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الشافعي) «الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد».

تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة 1966م.

(29) **الأربلي**: ت 717هـ/ 1317م (عبد الرحمن سنبط بن إبراهيم بن قنيتو) «خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك».

تحقيق مكي السيد جاسم، بغداد 1964م.

(30) **أسامة بن منقذ**: ت 584هـ/ 1188م (أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر) «الاعتبار».

تحقيق فيليب حتى، برنستون 1930م.

(31) **البنداري**: ت 643هـ/ 1245م (قوام الدين الفتح بن علي).

1 ـ «سنا البرق الشامي»، تحقيق فتحية النبراوي ـ القاهرة 1962م.

2 ـ «مختصر تواريخ آل سلجوق» تحقيق هوتسما، ليدن 1889م.

(32) **التهانوي**: ت بعد سنة 1158هـ/ 1745م (محمد علي الفارقي) «كشاف اصطلاحات الفنون»، طهران 1947م.

(33) **الجوهري**: ت 393هـ/ 1002م (إسماعيل بن حماد الجوهري) «تاج اللغة وصحاح العربية».

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة 1956م.

(34) **الحريري**: عاش في القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي (أحمد بن علي).

«الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين عن ديار المسلمين».

تحقيق سهيل زكار، دمشق 1981م.

(35) **الحنبلي**: ت 876هـ/ 1471م (أبو البركات أحمد بن إبراهيم) «شفاء القلوب في مناقب بني أيوب».

تحقيق ناظم رشيد، بغداد 1978م.

(36) **الخطيب البغدادي**: ت 463هـ/ 1070م (أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت) «الفقيه والمتفقه».

صححه وعلق عليه الشيخ إسماعيل الأنصاري، بيروت 1980م.

(37) **الخوارزمي**: من علماء النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ القرن الميلادي، (الإمام جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد) «مفيد العلوم ومبيد الهموم».

تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، قطر 1980م.

(38) **الذهبي**: ت 748هـ/ 1347م (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قايماز.

1 ـ «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»، تحقيق بشار عواد معروف، القاهرة 1977م.

2 ـ «العبر في خبر من غبر»، نشر صلاح الدين المنجد وفؤاد السيد، 5 أجزاء، الكويت 1960/ 1966م.

(39) **السبكي**: ت 771هـ/ 1370م (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) «طبقات الشافعية الكبرى».

تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، 7 أجزاء، القاهرة 1964/ 1971م.

(40) **السخاوي**: ت 903هـ/ 1497م (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن) «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، 12 جزء، مصر 1352/ 1355هـ.

(41) **السيوطي**: ت 911هـ/ 1505م (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد).

1 ـ «تاريخ الخلفاء»، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1969م.

2 ـ «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة».

3 ـ «أربعون حديثاً في فضل الجهاد»، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، القاهرة 1988م.

(42) **شاهنشاه بن أيوب**: عاش في القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي (صاحب حماه).

«منتخبات من كتاب التاريخ» (وهو ملحق على كتاب ابن شداد النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، القاهرة 1317هـ.

(43) **الصفدي**: ت 864هـ/ 1363م (صلاح الدين خليل بن أيبك) «الوافي بالوفيات»، 17 جزء.

نشر جمعية المستشرقين الألمانية، (بدون تاريخ).

(44) **عبد الله المبارك**: ت 181هـ/ 797م (الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن بن واضح) «كتاب الجهاد»، تحقيق نزيه حماد، جدة 1403هـ.

(45) **العظيمي**: ت 588هـ/ 1163م (محمد بن علي بن محمد) «تاريخ العظيمي»، نشر كلود كاهن: C. Cahen Journal Asiatique, Tom, ccxxx, (1938) ويشتمل على حوادث السنوات من 455 ـ 538هـ.

(46) **العليمي**: ت 928هـ/ 1522م (مجير الدين عبد الرحمن بن محمد الحنبلي) «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل»، جزءان، القاهرة (بدون تاريخ).

(47) **العماد الأصفهاني**: ت 593هـ/ 1197م (عماد الدين محمد بن محمد بن حامد).

1 ـ «تاريخ دولة آل سلجوق»، القاهرة 1900م.

2 ـ «الفتح القسي في الفتح القدسي»، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة 1965م.

3 ـ «خريدة القصر وجريدة العصر»، ج 1، تحقيق شكري فيصل، دمشق 1955م، ج 2، تحقيق محمد بهجت الأثري، العراق 1964م، ج 3، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة 1951م.

(48) **عمارة اليمني**: ت 569هـ/ 1173م (أبو محمد عماره بن أبي الحسن) «النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية»، باريس 1897م.

(49) **العيني**: ت 855هـ/ 1451م (بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى).

1 ـ «عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان»، جزءان، من حوادث 648 ـ 688هـ/ 1250هـ/ 1289م.

تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة 1987/ 1988م.

(50) **القلقشندي**: ت 821هـ/ 1418م (أبو العباس أحمد بن علي) «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء»، 14 جزء، القاهرة 1910/ 1920م.

(51) **محمد بن شاهنشاه**: ت 617هـ/ 1220م (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي) «مضمار الحقائق وسر الخلائق».

تحقيق حسن حبشي، القاهرة 1968م.

(52) **المقريزي**: ت 845هـ/ 1441م (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر).

1 ـ «إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء»، 3 أجزاء، ج 1 ـ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1967م، ج 2، ج 3، تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة 1971م.

2 ـ «السلوك لمعرفة دول الملوك»، ج 1، 2، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1934/ 1958م.

3 ـ «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، القاهرة 1987م.

(53) **النووي**: ت 671هـ/ 1272م (محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف) «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين».

تحقيق رضوان محمد رضوان، دمشق (بدون تاريخ).

(54) **النويري**: ت 732هـ/ 1332م (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) «نهاية الأرب في فنون الأدب»، ج 26.

تحقيق محمد فوزي العنتيل، القاهرة 1985م، ج 27 تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة 1985م.

(55) **ياقوت الحموي**: ت 626هـ/ 1228م (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي).

1 ـ «معجم البلدان»، 5 أجزاء، بيروت 1986م.

2 ـ «معجم الأدباء»، عشرون جزء، تحقيق أحمد فريد الرفاعي، القاهرة 1936م.

ثالثاً: المصادر الأوروبية

(1) Albert d'Aix, «Histoire de L'Expedition de Jerusalem», cf Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris 1, 1829.
(2) Anonymous, «Gesta Francorum Expugnantium Iherusalem», Ed. R.H.C. -H. occ., t. III, Paris, 1866, pp. 490-543.

ترجمة حسن حبشي، تحت عنوان «أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس»، القاهرة 1958م.

(3) Anonymous, «Histoire de Jerusalem», cf. Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris, 1829.
(4) Anonymous, «Memorial de Podestals de Reggio», cf. Bibliotheque des Croisades, t.II, Paris, 1829.
(5) Anonymous, «Continuation de Guillaume de Tyre dite du manuscrit de Rothelin» (1229-1261), cf. R.H.C. H.OCC., t.II, Paris, 1859.

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية للكتاب للدكتور أسامة زيد تحت عنوان «تتمة كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول والمنسوب خطأ إلى روثلان»، الإسكندرية 1989م.

(6) Baudri, «Histoire de la prise de Jerusalem», cf Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris, 1829.
(7) Bernard le Tresorier, «Histoire des croisades», cf. Bib, des crois, t.II, Paris, 1829.
(8) «Chronique Anglaise, depuis L'annee 1066 jusqu'en 1200», cf. Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris, 1829.
(9) «Chronique de Richard de Saint Germain», cf. Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris, 1829.

(10) Du Cange, Les Familles d'outre-Mer publiées par, M.E.G. Rey, Paris, 1869.
(11) Eracles, «L'Eracles Empereur et la conques de la terre d'Outre mer», cf. Recueil de Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux. t.II, Paris, 1859.
(12) Ernoul, «Chronique d'Ernoul et de Bernard de Tresorier» edited by Mas Latrie, Paris, 1871.
(13) Fulcher of Chartres, «A History of the Expedition to Jerusalem» (1095-1127), translated by Francis Rita Ryan, U.S.A. 1969.
(14) Gauthier le Chancelier, «Histoire des guerres d'Antioche», cf. Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris, 1829.
(15) Geoffrey de Vinsauf, «History of the expedition of Richard Coeur De Lion to the Holy Land», cf. Chronicles of the Croisades, London, 1903.
(16) Hayton, «La Flor des Estoires de la terre d'Orient» Ed. R.H.C. Doc. Arm., t.II, Paris, 1869, pp. 55-362.
(17) Innocent III, Pope,
1 - «Letter for taxation of Church for the crusades», cf. Riley Smith, The Crusades, (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 145-147.
2 - «Letter to the abbot of Salem the former abbot of Neuburg, the Dean of Speyer and the provost of Ausburg, cf. Riley Smith, The Crusades, (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 121-122.
(18) Innocent II, Pope,.
1 - «Letter to Conrad, Bishop of Regensburg», cf. Riley Smith, the Crusades, (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 123-124.
2 - «Letter to Conrad, the Dean of Speyer», cf. Riley Smith, the Crusades, (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 122-123.
(19) James of Vitry, «Letters», cf. Riley Smith, the Crusades, (Documents of Medieval History), London, 1981, pp. 165-177.
(20) Jean D'Ibelin, «Livre de Jean d'Ibelin», cf. Assises de Jerusalem, t.1, Paris, 1841, pp. 1-432.
(21) Joinville, Jean de, Histoire de Saint Leuis, Texte Originale du XIV, Siecle accompagne d'une traduction en Francais Modrne par M. Natilis de Wailly, Paris, 1874.

رجعنا للترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم مذكرات جوانفيل: لويس حياته وحملاته على مصر والشام ـ ترجمة حسن حبشي، القاهرة 1968م.

(22) Kinnamos, J: «Deeds of John and Manuel Comnenus», Translated by Charles Bernand, New York, 1976.
(23) Mathew Paris, «English History», Translated from the Latin, by Giles J.A., Vol. 1, London 1889.
(24) Matthew d'Edess, Extraits de la Chronique de Mathew d'Edess, ed. R.H.C. Doc-Arm. t. 1, Paris, 1869.
(25) Michel Le Syrien, Chronique de Michel Le Syrien Traduit par Chabot, Paris, 1899.
(26) Oliver of Paderborn, «The capture of Damietta», translated by Joseph J. Gavigne, cf. Christian Society and the crusades (1198-1229), Edited by Edward Peters, Philadelphia, 1971, pp. 48-139.
(27) Philip de Novare, «The Wars of Fredrick II against the Iblins in Syria and Cyprus», translated, by J. L. Lamonte, Columbia, 1935, pp. 27-44.
(28) Raoul de Caen, «Les Gestes du prince Tancrede dans l'expedition de Jerusalem», cf. Bibliotheque des Croisades, t.II, Paris, 1829.
(29) Richard of Devizes, «The Crusades of Richard Coeur de Lion», cf. Chronicles of the Crusades, London, 1903, pp. 1-64.
(30) Robert le Moine, «Histoire de Jerusalem», cf. Bibliotheque des Croisades, t.1, Paris, 1829.
(31) Roger of Wendover, «Flowers of History», cf. Christian Society and the Crusades, (1198-1229), Edited by Edward Peters, Philadelphia, 1971, pp. 140-169.
(32) Tudebode, (Peter), «Historia de Hierosolymitano itinere», cf. Riley Smith, The Crusades (Documents of Medieval History), London, 1981.
(33) William of Tyre, «A History of Deeds Done Beyond the Sea», translated and Annotated by Emily Babcock, and A. Krey, New York, 1943.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة

(1) **إبراهيم جزيني:**

شرح ديوان بهاء الدين زهير، بيروت، 1968م.

(2) **أحمد السعيد سليمان:**

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، جزءان، القاهرة، 1969م.

(3) **أحمد شلبي «الدكتور»:**

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، 6 أجزاء، القاهرة، 1972م.

(4) **أحمد عطية الله:**

القاموس الإسلامي، القاهرة، 1963م.

(5) **باركر (أرنست):**

الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، 1967م.

(6) **أسامة زكي زيد «الدكتور»:**

1 ـ صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الإسكندرية، 1981م:

2 ـ الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية، الإسكندرية 1980م:

obeikandl.com

3 ـ حملات الرملة الثلاث ضد الصليبيين في عهد الوزير الفاطمي الأفضل، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ـ العدد 29 ـ 1981م:

4 ـ الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي في عصر بني أيوب، جامعة مجلة كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ـ العدد 30 ـ 1983م.

(7) **البغدادي (إسماعيل باشا):**

هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، جزءان ـ طبع بالأوفست ـ بغداد 1951م.

(8) **جوزيف نسيم يوسف:**

1 ـ العدوان الصليبي على مصر، الإسكندرية 1969م:

2 ـ العدوان الصليبي والرأي العام الغربي، الإسكندرية، 1968م:

3 ـ العرب والروم واللاتين، الإسكندرية، 1963م.

(9) **جوستاف لوبون:**

الحضارة العربية، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، 1964م.

(10) **حاجي خليفة:**

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول، 1941م.

(11) **حافظ حمدي:**

الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، القاهرة، 1950م.

(12) **حامد زيان غانم «الدكتور»:**

العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الأيوبي (أسرة شيخ الشيوخ)، القاهرة، 1978م.

(13) **حامد غنيم أبو سعيد «الدكتور»:**

الجبهة الإسلامية في عصر الحروب الصليبية، ط 2، القاهرة، 1984م.

(14) **حسن الباشا (الدكتور):**

الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، 1957م.

(15) **حسن البنا:**

رسالة الجهاد (من كتاب الجهاد في سبيل الله) لأبي الأعلى المودودي، سيد قطب، حسن البنا، وزارة المعارف، السعودية، 1978م.

(16) **حسن حبشي «الدكتور»:**

1 ـ الحرب الصليبية الأولى، القاهرة، 1958م.

2 ـ نور الدين محمود والصليبيون، بغداد، 1948م.

(17) **حسين مؤنس «الدكتور»:**

نور الدين محمود، القاهرة، 1959م.

(18) **خير الدين الزركلي:**

الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط 3، 10 أجزاء، القاهرة، 1954 ـ 1959م.

(19) **ديورانت ـ ول:**

قصة الحضارة، تعريب محمد بدران، الجزء الخامس عشر، القاهرة، 1965م.

(20) **رضا السيد حسن:**

الصليبيون وآثارهم في جبل عامل، بيروت، 1987م.

(21) **رانسيمان (ستيفن):**

1 ـ تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، 3 أجزاء، بيروت، 1967 ـ 1980م:

2 ـ الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة، 1961م.

(22) **سعيد عبد الفتاح عاشور «الدكتور»:**

1 ـ الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، القاهرة، 1970م:

2 ـ الحركة الصليبية، جزءان، القاهرة 1971م:

3 ـ الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، القاهرة، 1965م:

4 ـ أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، 1964م:

5 ـ بحوث ودراسات في تايخ العصور الوسطى، بيروت، 1977م.

(23) **سهيل زكار «الدكتور»:**

مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دمشق 1981م.

(24) **السيد الباز العريني «الدكتور»:**

1 ـ الدولة البيزنطية، القاهرة، 1960م:

2 ـ مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة، 1962م.

(25) **شاكر مصطفى:**

التاريخ العربي والمؤرخون، (دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام)، جزءان، بيروت، 1979 ـ 1980م.

(26) **عبد الحليم محمود «الدكتور»:**

الجهاد في الإسلام، القاهرة، 1983م.

(27) **عبد الله بن إبراهيم الوهيبي «الدكتور»:**

العز بن عبد السلام، القاهرة، 1982م.

(28) **عزت ياسين أبو هيبة:**

المخطوطات العربية فهارسها وفهرستها، القاهرة، 1989م.

(29) **عماد الدين خليل:**

الإمارات الأرتقية في بلاد الشام والجزيرة، بيروت، 1977م.

(30) **عمر رضا كحالة:**

معجم المؤلفين، 14 جزءاً، دمشق، 1957 ـ 1961م.

(31) **عمر كمال توفيق «الدكتور»:**

1 ـ مقدمات العدوان الصليبي، الإسكندرية، 1966م:

2 ـ مملكة بيت المقدس الصليبية، الإسكندرية، 1958م.

(32) **فايد حماد عاشور «الدكتور»:**

1 ـ الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العصر الأيوبي، القاهرة، 1983م:

2 ـ جهاد المسلمين في الحروب الصليبية (العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي)، بيروت، 1981م.

(33) **كامل سلامة الدقس:**

آيات الجهاد في القرآن، دار البيان، الكويت (بدون تاريخ).

(34) **محمد جمال الدين سرور «الدكتور»:**

1 ـ الدولة الفاطمية في مصر، القاهرة، 1965 ـ 1966م:

2 ـ النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، القاهرة، 1964م:

obeikandi.com

3 ـ تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، القاهرة، 1967م.

(35) **محمد جمال الدين الشيال «الدكتور»:**

تاريخ مصر الإسلامية، الجزء الثاني (الأيوبيون والمماليك)، الإسكندرية 1967م.

(36) **محمد عزة دروزة:**

الجهاد في سبيل الله في القرآن والحديث، دمشق، 1975م.

(37) **محمد ماهر حمادة «الدكتور»:**

وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي، بيروت، 1986م.

(38) **محمد محمد مرسي الشيخ «الدكتور»:**

الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، الإسكندرية، 1971م.

(39) **محمد محمود حجازي «الدكتور»:**

التفسير الواضح، القاهرة، 1977م.

(40) **محمد مصطفى زيادة «الدكتور»:**

حملة لويس التاسع على مصر، القاهرة، 1961م.

(41) **محمد نعيم ياسين:**

1 ـ الجهاد ميادينه وأساليبه، القاهرة بدون تاريخ:

2 ـ حقيقة الجهاد في الإسلام، الكويت، 1984م.

(42) **محمود سعيد عمران «الدكتور»:**

1 ـ الحملة الصليبية الخامسة، الإسكندرية، 1985م:

2 ـ السياسة الشرقية للأمبراطورية البيزنطية في عهد الأمبراطور مانويل الأول ـ الإسكندرية، 1985م.

(43) **مولر:**

القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد الجلاد، دمشق، 1984م.

(44) **نظير حسان سعداوي «الدكتور»:**

1 ـ المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، القاهرة، 1963م:

2 ـ جيش مصر في أيام صلاح الدين، القاهرة، 1959م.

obeikandl.com

خامساً: المراجع الأوروبية

(1) Addison:
The History of the Knights Templars, London, 1842.
(2) Archer, T.A.:
The Crusades: The story of the Latin Kingdom of Jerusalem, U.S.A., 1894.
(3) Baldwin:
The Crusades, Philadelphia, 1955.
(4) Browne:
(A Literary of Persia) Cambridge, 1852.
(5) Dozy, R:
Supplement aux Dictionnaire Arabes, 2 vols, Leiden, 1881.
(6) Encyclopedia of Islam, London, 1927.
(7) Gibbon, E:
The Life of Saladin, London, 1973.
(8) Grousset, R:
Histoire des Croisades, 3 vols., Paris, 1934-1936.
(9) Heyd:
Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age, 2 vols, Paris, 1886.
(10) Jean, Richard:
The Latin Kingdom in Jerusalem, Oxford, 1979.
(11) King, E.J:
The Knights Hospitallers in the Holy Land, London, 1931.
(12) Mayer, H:
Studies in history of Queen Melisend of Jerusalem cf Dumbartory, New York, 1977.
(13) Michaud:
History of the Crusades, London, 1852.

(14) Mills, Charles:
A History of the Crusades for the Recovery and Possession of the Holy Land, 2 vols, London, 1820.
(15) Richard, J:
The Latin Kingdom of Jerusalem, New York, 1979.
(16) Riley, Smith:
The Crusaders in Syria and the Holy Land, London, 1971.
(17) Setton, K.M:
A History of the Crusades, 2 vols, London, 1969.
(18) Stevenson, W.B:
The Crusaders in the East, Cambridge, 1968.
(19) Watson, C.M:
The story of Jerusalem, London, 1912.

Abrreviations

R.H.C. -H.Occ: Recueil des Historiens des Croisades Historiens Occidentaux.

R.H.C. -Doc. Arm: Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens.

Bib. des Crois: Bibliotheque des Croisades.

openkandl.com

المحتويات

كلمة شكر 7

المقدمة 9

الفصل الأول: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين أبان الحركة الصليبية (489 ـ 690هـ/ 1095 ـ 1291م) 29

أوضاع العالم الإسلامي والمسيحي قبيل وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق ـ تقدم الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام، وتأسيس الإمارات الصليبية الأربع ـ موقف الخلافتين العباسية والفاطمية من الجهاد ضد الصليبيين عند بداية الحملة الصليبية الأولى ـ جهاد الرواد الأول للوحدة الإسلامية ضد الصليبيين منذ وصولهم الشام حتى نهاية الأسرة الزنكية (492 ـ 569هـ/ 1098 ـ 1174م) ـ جهاد المسلمين ضد الصليبيين في العصر الأيوبي (569 ـ 648هـ/ 1174 ـ 1250م) ـ الجهاد الإسلامي في عصر سلاطين المماليك حتى نهاية الحركة الصليبية (648 ـ 690هـ/ 1250 ـ 1291م) 29

الفصل الثاني: دور الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشام حتى موقعة حطين (491 ـ 583هـ/ 1097 ـ 1187م) 73

استنكار العلماء والفقهاء للغزو الصليبي على بلاد الشام، ودورهم

obeikandl.com

في إثارة حماس المسلمين للجهاد ـ موقفهم في أنطاكية ـ موقفهم في بيت المقدس ـ العلماء والفقهاء الذين استشهدوا في بيت المقدس سنة 492هـ/ 1098م ـ العلماء والفقهاء يخرجون إلى بغداد مستنكرين ومستنفرين للمذابح التي حدثت في بيت المقدس ـ دورهم في محاولة إزالة أسباب الشقاق بين أبناء البيت السلجوقي تمهيداً لبناء الوحدة الإسلامية ـ فخر الملك بن عمار قاضي طرابلس ومراحل مقاومته للصليبيين حتى سقوط طرابلس في أيديهم سنة 502هـ/ 1108م ـ دور قاضي صيدا سنة 504هـ/ 1110م في حقن دماء المسلمين أثناء حصار الفرنج للمدينة ـ سقوط صيدا في أيدي الصليبيين وأثر ذلك على الفقهاء المسلمين ببغداد ـ دور أحد شيوخ طرابلس في إنهاء حصار الصليبيين لصور سنة 505هـ/ ـ دور القاضي أبو الفضل بن الخشاب في حلب ـ موقف العلماء والفقهاء من تحالف بعض حكام المسلمين مع الصليبيين ـ موقف الفقهاء والعلماء من تعاطف بعض الحكام المسلمين مع طائفة الإسماعيلية ـ دور الفقهاء والعلماء ومكانتهم في عصر عماد الدين زنكي ـ دور الفقهاء والعلماء ومكانتهم في عصر نور الدين محمود ـ دورهم ومكانتهم في عصر صلاح الدين الأيوبي حتى موقعة حطين 73

الفصل الثالث: جهود العلماء والفقهاء في الجهاد ضد الصليبيين حتى نهاية الحركة الصليبية عام 690هـ/ 1291م 141

اشتراك الفقهاء والعلماء في الجهاد ضد الصليبيين بعد معركة حطين في عكا وبيت المقدس ـ دور الفقهاء والعلماء في بيت المقدس بعد استردادها من الصليبيين ـ تأييد كبار العلماء والفقهاء لرأي صلاح الدين أثناء استرداده الثغور الساحلية من الصليبيين ـ دور العلماء والفقهاء في القضاء على فتور حركة الجهاد بعد استرداد المسلمين لبيت المقدس ـ دورهم أثناء حصار الصليبيين لعكا في الحملة الصليبية الثالثة ـ علاقتهم بأبناء البيت الأيوبي بعد وفاة صلاح الدين

وأثر ذلك على حركة الجهاد ضد الصليبيين ـ موقف العلماء والفقهاء من وصول الحملة الصليبية الخامسة إلى دمياط عام 615هـ/ 1218م ـ استنكارهم موقف السلطان الكامل محمد بن العادل عند تسليمه بيت المقدس إلى الامبراطور فردريك الثاني ـ دور العلماء والفقهاء في تصفية خلافات البيت الأيوبي في مصر والشام ـ موقفهم من وصول الحملة الصليبية السابعة إلى مصر عام 645هـ/ 1248م ـ دور الفقهاء والعلماء في التقريب بين بعض زعماء المسلمين في مصر والشام ـ أثر وجود الخطر المغولي في بلاد الشام، على جهاد فقهاء وعلماء المسلمين ضد الصليبيين ـ اشتراكهم في حملات السلطان الظاهر بيبرس ضد الحصون الصليبية في بلاد الشام ـ جهادهم في عصر السلطان المنصور قلاوون ـ دورهم في استعادة عكا وبقية الحصون الصليبية من أيدي الصليبيين في عهد السلطان الأشرف خليل عام 690هـ/ 1291م

الفصل الرابع: موازنة بين دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى الإسلامي ورجال الدين المسيحي في بلاد الشام والغرب الأوروبي أثناء الحروب الصليبية 233

أثر خطبة البابا أوروبان الثاني في مؤتمر كليرمونت عام 488هـ/ 1095م على المسيحيين المشتركين في الحملة الصليبية الأولى، ورد الفعل الإسلامي لذلك ـ دور رجال الدين المسيحي في ترويج الأساطير الدينية لرفع الروح المعنوية للمقاتلين، وأثر ذلك على الفقهاء والعلماء ـ دور افريمار بطريرك بيت المقدس في حث مسيحي بيت المقدس لمساعدة بلدوين الأول في حربه ضد المسلمين عام 499هـ/ 1105م، ورد الفعل الإسلامي لذلك ـ موقف رجال الدين المسيحي من خروج الحملة الصليبية الثانية إلى الشرق، وأثر ذلك على الفقهاء والعلماء المسلمين ـ دور رجال الدين المسيحي في الحملة الصليبية الثالثة على عكا، وموقف

الفقهاء والعلماء من هذه الحملة ـ موقف المندوب البابوي من تطور أحداث الحملة الصليبية الخامسة على دمياط عام 615هـ/ 1218م، ورد الفعل الإسلامي لذلك ـ موقف البابوية من فردريك الثاني في الحملة الصليبية السادسة عام 625هـ/ 1277م، وموقف المسلمين منها ـ دور بعض رجال الدين في الحملة الصليبية السابعة على مصر عام 646هـ/ 1248م، وأثر ذلك على الفقهاء والعلماء المسلمين

الخاتمة 277

ملخص بالإنكليزية 283

قائمة المصادر والمراجع 295

obeikandl.com